النموذج الوسطي والتحرير الإسلامي للمرأة
"محمد عمارة نموذجًا"

د. سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل•

المقدمة:

هذه واحدة من الممارسات البحثية والمنهجية والتي تدربت عليها كباحث في أكثر من موضوع، وهي تتعلق بتفعيل وتشغيل أداة مهمة تتعلق بتحليل النصوص، خاصة تلك النصوص التي يعتبرها الباحث ضمن معايير متعددة "نصوصًا حضارية" جديرة بالاهتمام وجديرة بالبحث والتنقيب. خاصة حينما تتعلق هذه "النصوص" بتحديات الأمة الجوهرية والحقيقة، وقضاياها التي ظلت محل عقلية سجالية أفضت إلى التنافي والتناقض أو عقلية دفاعية تبريرية، في بعض أدوارها اعتذارية، وفي بعض أحوالها افتخارية.

ومن هنا تتجه هذه الدراسة إلى مؤلف، إلى كاتب ونص، يجمع بينهما وبين القارئ قضية محورية "قضية المرأة" وتحدي جوهري ضمن حزمة التحديات الفكرية والثقافية والواقعية، لا يمكن التعامل معها بالوأد المعنوي والفكري، أو بالقتل والبتر لقضايا حضارية كثيرة، كانت من جملة المؤشرات الدالة على أخطاء فادحة في مناهج التفكير والتدبير والتغيير. "وإذا الموؤدة سئلت: بأي ذنب قُتلت.." إن التفكير التبسيطي أو المختزل الذي يرى في قضايانا عار وعورة وجب سترها بل وأدها إنما يعبر ليس فقط عن خطأ في مناهج التفكير بل خطيئة تستحق الجزاء من جنسها، في واقع المعيشة الضنك الذي نعيشه أو الفصام النكد الذي نتنفسه ها هي النصوص الحضارية ترفض منطق "الوأد الفكري والمعنوي والثقافي" تطل علينا لتقدم استجابة حضاية عميقة لهذه القضايا وتلك التحديات، فإذا كانت الحضارة حضور، فإن النص الحضاري حضور في قضايانا الأساسية والحضارية والاستراتيجية الممتدة، حضور فاعل وكاشف وفارق وناقد ومقوم وبانٍ... هو بهذا الاعتبار مسار لفهم معمار النص وإسهامه في عمارة الحضارة والكون والإنسان والحياة.

النص موضع الاهتمام والدراسة هو للدكتور محمد عمارة حول "التحرير الإسلامي للمرأة: الرد على شبهات الغلاة". هو مجال معملنا التجريبي لمنهجية تحليل النصوص، ومجال لإحياء قضايا، صادفها الوأد في أحيان كثيرة، إذ صار للوأد أشكال وتجليات.

أولاً- وصف النص وتسكينه: النص الحضاري:

في هذا المقام نقدم هذا النص عن "التحرير الإسلامي للمرأة: الرد على شبهات الغلاة" باعتباره نصًا حضاريًا بما يعنيه ذلك من معانٍ، فليس معنى النص الحضاري هو التعامل التراثي الذي يشكل واحدًا من أهم أنماط دراسة "النص الحضاري، فلماذا الوصف الذي نعتبر على أساس منه أن هذا الكتاب "نص حضاري". إن النص الحضاري تقع أهميته من خلال ما يعالجه من قضايا تؤثر في تأصيل وصياغة الرؤية حول جملة القضايا التي تسهم في البناء الحضاري، ووضوح الرؤية القاعدة الأساسية لحزمة القضايا التي تسهم في تحديد الرؤية الكلية "للمفاهيم الحضارية" الأساسية الكبرى، والرؤية الواعية

• أستاذ العلوم السياسية – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة والمنسق التنفيذي لبرنامج حوار الحضارات.

"لمفاهيم العلاقات" مثل الإسلام والمرأة أو مفاهيم الموقف مثل "موقف الإسلام من المرأة" أو "التحرير الإسلامي للمرأة" ولا شك في أن هذه الرؤية الإدراكية تمثل المقدمة للوعي بمشكلات العمارة الحضارية، والقدرة على تسكين هذه القضايا ضمن معمار العلاقات في ما بين عناصرها وأشكالها ومنهاجها.

والنص الحضاري هنا لا يكون حضاريًا بقدمه ولكن يكون حضاريًا بفكره ومنهجه وموضوعه وهدفه، ومن هنا فإنه لا يهمل عناصر ذاكرة حضارية تعين في وضوح التصور ووعي العلاقة، سواء كان ذلك على مستوى "الخبرة المفاهيمية" أو "النماذج التاريخية" أو هو لا يهمل الغاية في دراسة هذه القضية وموضعها من عموم البيئة الحضارية.

والنص الحضاري لا يكفي في تحليله التحليل اللغوي، بل هو أبعد من ذلك بكثير لرؤية النص ضمن سياقاته الحضارية (الفكرية والعملية)، وتحريك النص ضمن واقعة الفكري والتاريخي (ذاكرة النص) وتحريك النص إلى واقعنا (قراءة التفعيل)، ضمن إمكانات النص وما يقدمه من قيمة مضافة فاعلة، في تقويم الواقع وحالته وأشكال الممارسة فيه؛ فالنص الحضاري إذ يمثل في البدء حالة دراسية، إلا أن حضاريته في النهاية يستمد منها ذايتة يجب أن تراعى عند الشرح والتحليل وهي الرؤية التي تدفعنا إلى الإقرار بأن النص حينما يوصف بالحضاري فإن ذلك يؤكد أن مقاربته لابد أن تكون حضارية وهي على تمايز مع المقاربة الأدبية للنص تعاملاً وتناولاً؛ فبينما تسعى الأخيرة إلى أدبية النص جوهرًا، فإن الأولى تستطلع مواطن الأفكار فيه بوصفها تُحيل على الواقع الإنساني والامتداد الحضاري في إطار مخصوص. وتجعل عناصر القراءات المتداخلة والمتكاملة والمتواصلة حركة فاعلة بين القراءات. وأنساق القراءة للنص الحضاري ضمن مقاربة الحضارية تتوسل نسق القراءة المفتوحة المتضمن لإحسان القراءة والتفاعل بين القراءة العالمة والجامعة والفاعلة، وقراءة النص كعملية اتصالية هادفة إلى التوصيل والتأثير، حاملة الرسالة والهذه منها في آن. كما هي قراءة في أفق النص بيئته وسياقه، مؤلفه ومبدعه، متلقية ومخاطبه، إسهامه. التجديدي وحركته وفاعليته.

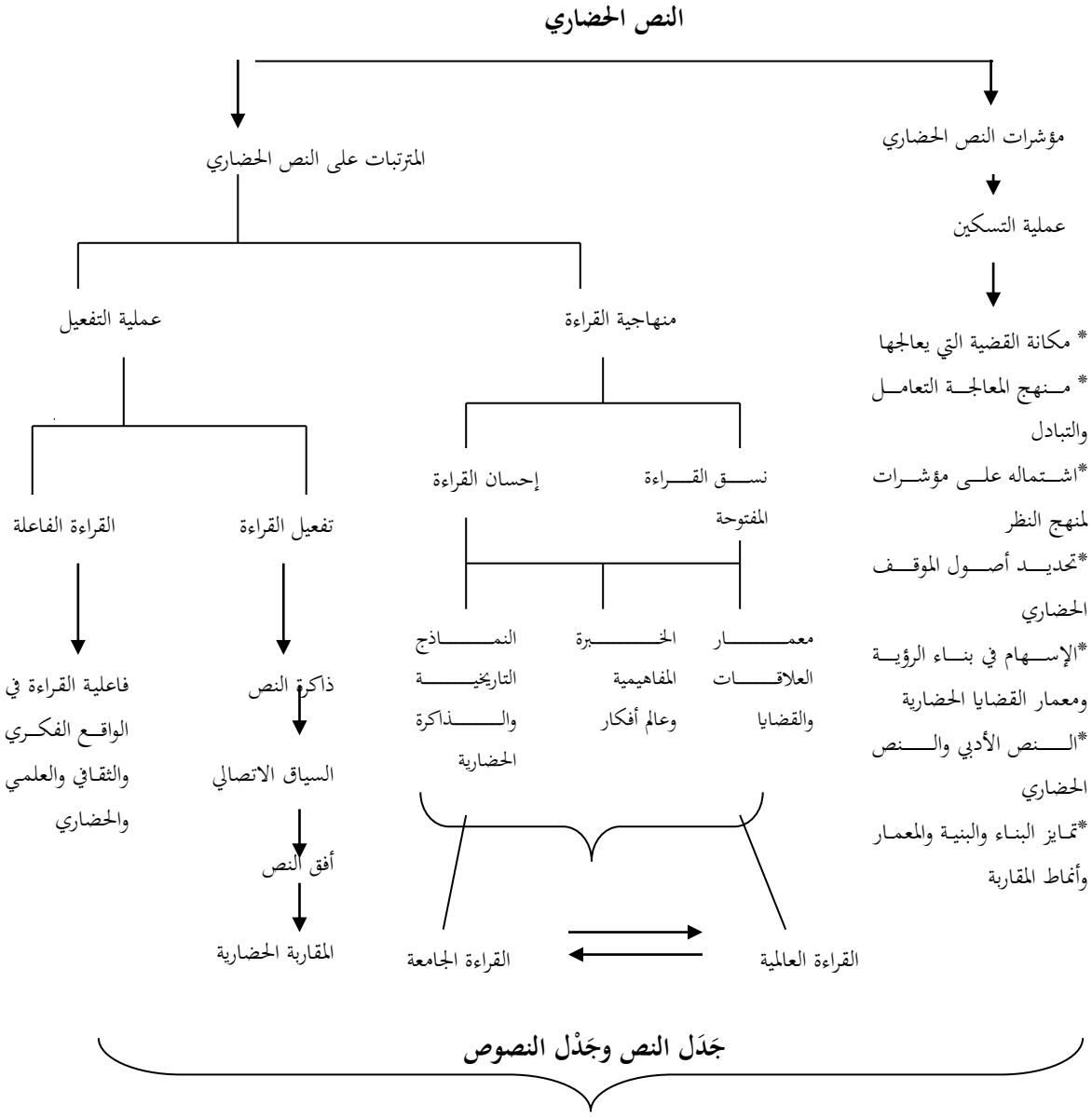
النص الحضاري
مؤشرات النص الحضاري
عملية التسكين
* مكانة القضية التي يعالجها
* منهج المعالجة التعامل والتبادل
*اشتماله على مؤشرات لمنهج النظر
*تحديد أصول الموقف الحضاري
*الإسهام في بناء الرؤية ومعمار القضايا الحضارية
*النص الأدبي والنص الحضاري
*تمايز البناء والبنية والمعمار وأنماط المقاربة
المترتبات على النص الحضاري
منهاجية القراءة
نسق القراءة المفتوحة
إحسان القراءة
معمار العلاقات والقضايا
الخبرة المفاهيمية وعالم أفكار
النماذج التاريخية والذاكرة الحضارية
القراءة العالمية
القراءة الجامعة
عملية التفعيل
تفعيل القراءة
ذاكرة النص
السياق الاتصالي
أفق النص
المقاربة الحضارية
القراءة الفاعلة
فاعلية القراءة في الواقع الفكري والثقافي والعلمي والحضاري
جَدَل النص وجَدْل النصوص

(تابع)

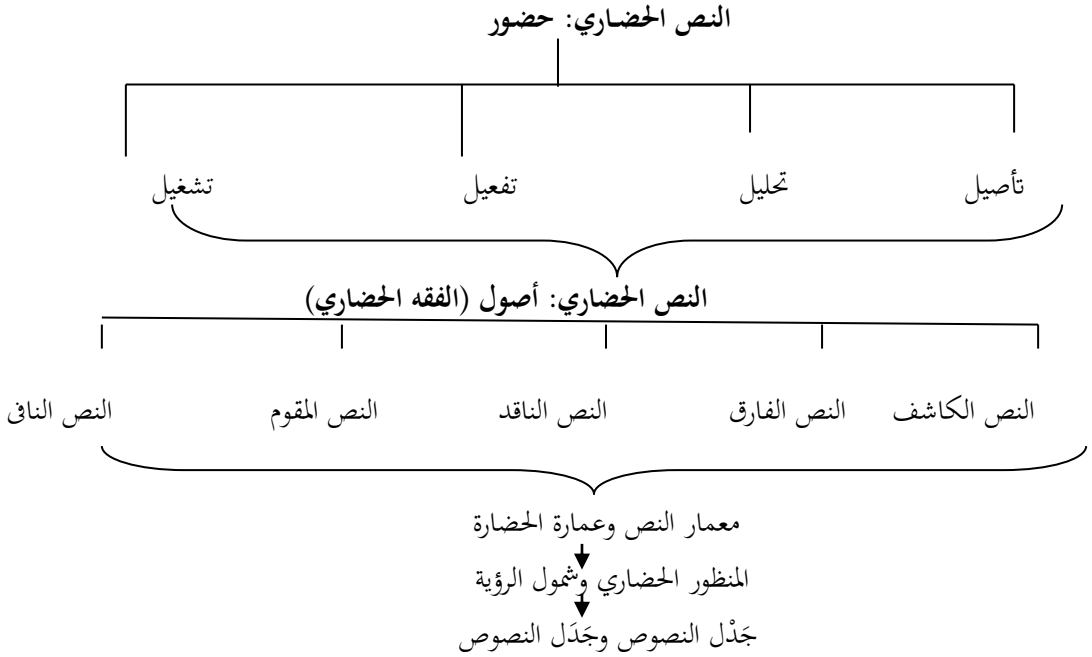

ثانيًا- واجهة النص: العنوان- الاستهلاك- الختام:

في إطار التعامل مع واجهة النص والتي تمثل المدخل إلى النص والتعرف عليه؛ فإن العنوان والاستهلال الذي تشكله المقدمة، وكذلك الختام للنص الموصول بمقدمة والمحرر للهدف الكامن في العنوان، مجالات بعضها من بعض لابد أن تشكل معمار النص في صدر وواجهة.

(1) صدر النص وتحليل العنوان: يتكون عنوان النص الذي يشكل مدخلاً للنص من أهم مداخله الواجبة للتعامل معها بالتحليل الذي يصل بين عنوان النص ومقدمته ومتنه وواسطته وخاتمته.

التحرير	الإسلامي	للمرأة	الرد على شبهات	الغلاة

* دواعي استخدام كلمة تحرير في صدر العنوان. * محاولة تحرير مفهوم التحرير الوارد في العنوان وتحرير مناطه النافي لعملية سرقة المفاهيم أو إغتصابها أو احتلالها والتلبيس بها. * تحرير المرأة بالإسلام لا تحرير المرأة من الإسلام * التحرير من الإصر والأغلال: أغلال الغلو الديني وأغلال الغلو اللاديني	* الإسلام دعوة تحرير وتعمير. * الإسلامي تعبير عن الوسطية والنموذج الوسطي. * الاجتهادات المعاصرة في مجال المرأة التي تجد محاضنها في اجتهادات تراثية وفقهية رصينة وتأويلات وتفسيرات قرآنية قلية رصينة. * الاستلهام من المرجعية الإسلامية. * التحرير الإسلامي في مواجهة التحرير العلماني	* القضية والإشكالية والتحدي المحدد لمجال فاعلية عملية التحرير وفلسفته. * المرأة بين مطرقة الغلو الديني وسندان الغلو العلماني. * رد محاولة حصر عملية التحرير في أنماط وأساليب وتوجهات النموذج الغربي والتغريبي العلماني. * النموذج الحافز للمرأة وتحريرها إسلاميًا: غير مقطوعة من مجتمعها ولا ممنوعة عن فاعليتها.	* المنهاجية الدفاعية. * الشبهة والرد *صناعة الصورة المضادة: صورة في مواجهة صورة *منهاجيتان: المنهج الدفاعي والمنهج البنائي وحقائق المنظور الحضاري. *حصر الشبهات وتقديم الإجابات والاستجابات: (الميراث- الشهادة ناقصات عقل ودين الولاية، القوامة)	* الغلو العلماني *الغلو الغربي * الغلو التغريبي (التبعية والتقليد للغرب وعملية التغريب) * الغلو الديني وتيار التطرف والجمود، الهادف إلى رفض عملية التجديد، والاجتهاد المعاصر. * تحويل العادة إلى شرعة ودين * ميراث الجاهلية الذي يطل من حين لآخر * النظرة الدونية والمهمشة لفاعليات المرأة.

نصف الأمة والمجتمع "المرأة" هل تنحصر خياراتنا المستقبلية بين: صورتها "المملوكية" المتخلفة؟، وصورتها الأوربية "المتحللة"؟! أم أن صورتها الإسلامية هي شيء آخر غير هذا .. وذاك؟!

تصور العالم والباحث والمفكر لرسالة ووظيفة استقاء من المرجعية "يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه:

تخريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين".

(2) يتكامل مع هذا المدخل بتحليل العنوان والذي يفصح عن أن الخطاب رؤية وفحوى يبين من عنوانه تلك البراعة التأثيرية لواجهة النص التي تتمثل في مقدمته، مما يمكن أن نسميه استمدادًا من المجال التراثي، وطرائق معمار النصوص وهندستها "براعة الاستهلال".

تبدو تلك البراعة التأثيرية في حكاية تصويرية تحمل عناصر تصوير حادثة مرت به في شبابه دالة في مجال اهتمامه وتأليفه الذي يتعلق بقضية المرأة، وبدا الكاتب يشكل مجموعة من المفاهيم البصرية التي تنزل دلالتها ضمن التصورات الذهنية ليتحدد من خلالها رأي الكاتب ورؤيته من مقدمته التي تشكل مدخله، وفحوى الحادثة حضورة لندوة يستمع فيه إلى ما أسماه "خطاب الزعيمة" لواحدة من أبرز "قيادات الحركة النسائية" وكيف أن هذا الخطاب شكَّل مسخًا مشوهًا لتقليد الغرب "رؤيةً وسلوكًا"، ويحاول أن يربط بين نموذج خطاب الزعيمة، والخطاب النسوي المعاصر في العالم العربي والإسلامي، ومآلات هذا الخطاب الذي يمثله النموذج الغربي للحركات النسوية، والدعوات التي تصاعدت منذ هذا الزمن من تحرير المرأة وفق المنط الغربي العلماني اللاديني.

وبراعة الاستهلال التي استخدم فيها د. عمارة أسلوب "اللقطة" العائدة إلى مسيرة تاريخية تملك حجيتها ورسوخها في عقل القارئ بمقدار تواصله واتصاله بحسن الختام؛ فرغم أننا نتحدث عن واجهة النص وصدره إلا أن الأكثر رسوخًا في ذهن القارئ دائمًا هو ما يتعلق باستهلاله وقدرته على حسن التقديم وفاعلية التأثير، إلا أن اكتمال دائرة الرسوخ في الاستهلال تكتمل مع رسوخ تقدمه حسن الخاتمة بما تحمله من كلمات شافية للغليل والعليل على حد سواء فيما يتعلق بالقضية موضع الاهتمام.

العبارة الأخيرة شكلت كثافة في المبنى والمعنى، وتشير إلى تعميم يتضمن المهمة والدور الرسالي للمرأة، والوظيفة والعبء المتضمن الرعاية رؤية ومنهجًا وسلوكًا، والمحرك لمسئولية المرأة، وأهلية وطاقات المرأة والتي تمثل الطريق إلى مساهمات وأشكال الانخراط في العمل العام، وفاعلية المرأة في النهضة، وبيئة الحقوق والوجبات وبنيتها، والموازنة بين الأدوار الخاصة والعامة، وميزان الضوابط الشرعية وفاعليات المرأة ... كل ذلك شكَّل جملة من الإجابات مما أثارته اللقطة الاستهلالية الأولى فوافق الختام الاستهلال في اتساق وتناسق كان أدعى لرسوخ المقصود بالاستهلال والختام معًا في ذهنية القارئ.

ضمن هذا المقام يحسن بنا ونحن نتحدث عن حسن الختام الموصول ببراعة الاستهلال أن نقدم خريطة بمنظومة الأفكار المتكاملة والتي تضمنتها الخاتمة حتى توجت بالعبارة الأخيرة والتي شكلت الرأي والرؤية، والمدخل والمنظور للتحرير الإسلامي للمرأة.

(3) حسن الختام
التحرير الإسلامي للمرأة

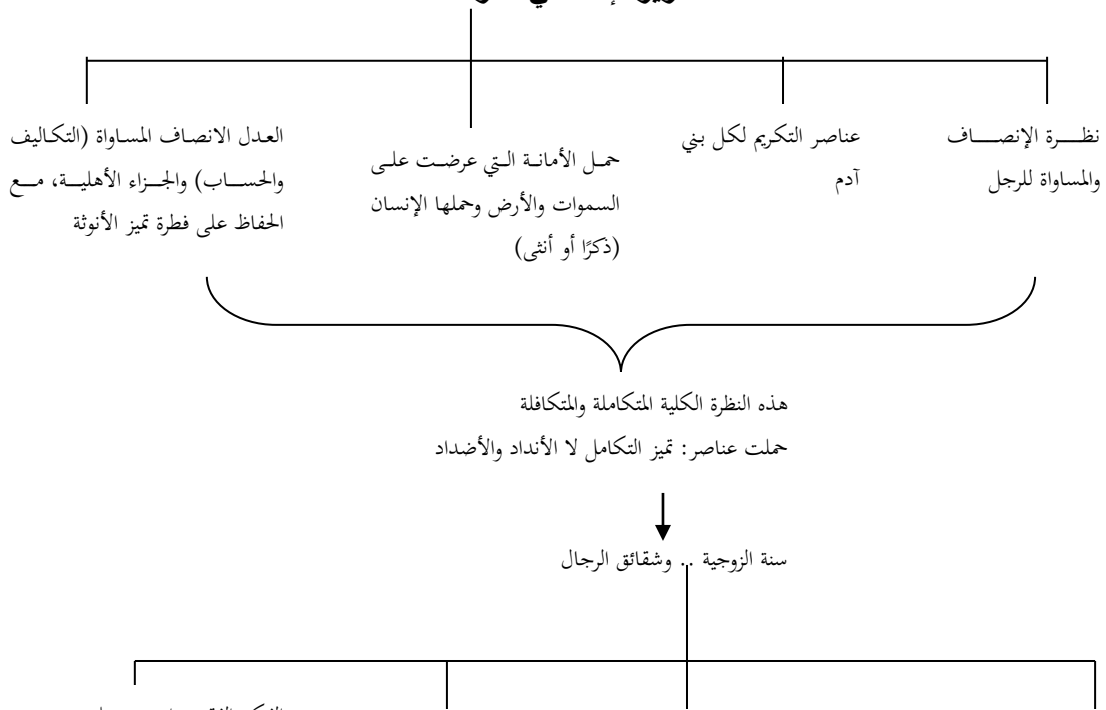

النفاذ لفقه النصوص التي تصورها البعض شبهات أو نقاط ضعف أو عقبات على طريق تحرير المرأة وإنصافها

↓

الآفاق واسعة وفسيحة وممتدة لأنها من المرأة بالإسلام وليس بتجاوز الإسلام كما يريد المتغربون من غلاة العلمانية (المنهج والطريق)

(تابع)

الاجتهاد الإسلامي

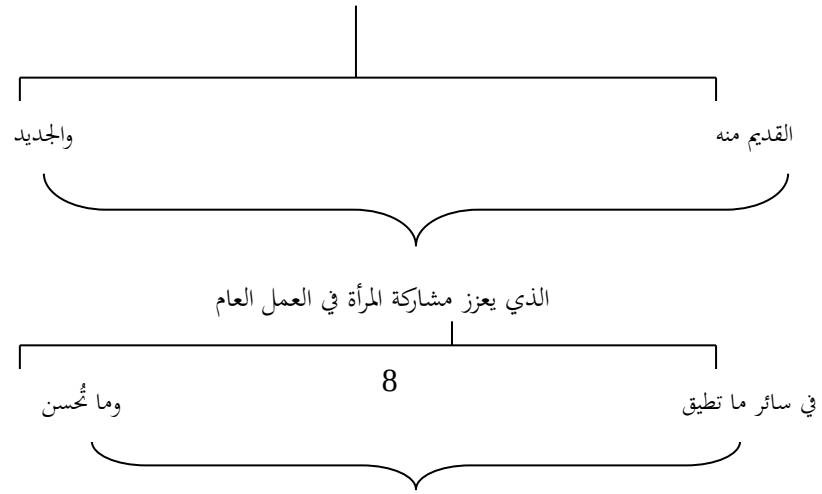

الرد على ما أثير من شبهات

حول أهلية المرأة لهذه المشاركة في العمل العام

الاستنادات لهذا الاجتهاد

بيعة النساء الخاصة: لم ينب عنهن الرجال —فيم استطعن وأطقن؟

العبارة الخاتمة الجامعة الكثيفة التي تحدد هوية وماهية التحرير الإسلامي للمرأة.

ثالثًا- محاولة تسكين النص ضمن الخريطة الفكرية:

تبدو معرفة مكانة النص، في معرفة الأرض التي نقف عليها... وإذا كانت معرفة الأرض وطبيعتها وتخومها شأنًا شئون الخريطة الجغرافية وأهدافها فغالب الظن أن الخريطة الفكرية لا تبتعد كثيرًا عن ذات الأهداف، إلا أن مجالها الفكر أو إن جاز التعبير .. "الأرضية الفكرية" فهي محاولة لوضع رسم دقيق يحدد التخوم الفكرية والقضايا والعناصر الداخلة فيها وتنوعاتها، ومستويات تناولاتها، ومساراتها وتوجهاتها.

(أ) النموذج الوسطي: محاولة للتعريف

يحدد الكاتب ومنذ الوهلة الأولى في مقدمة كتابه ما أسماه بالنموذج الوسطي، يبدو ذلك في استعراضه للنموذجين (الشقاء) و (البلاء) على ما أسميناهما، فيبرز النموذج

الثالث أو الطريق الثالث "على حد تعبيره" ..الذي نحسبه النموذج الوسطي، المعبر عن روح التحرير الإسلامي للمرأة .. ثم يحدد منطلقاته ومرجعيته ... ينطلق هذا النموذج الوسطي من نصوص ومنطق وفقه القرآن الكريم، الذي جعل الرجل بعضًا من المرأة، والمرأة بعضًا من الرجل.." .. وكذا فإن هذا النموذج الوسطي، الذي يمثل وسطية الإسلام في تحرير المرأة وإنصافها يتعلق بنماذج ريادات نسائية حررهن الإسلام منذ عصر النبوة وحتى العصر الذي نعيش فيه. والنموذج الوسطي ليس مجرد كلمة، بل هو "نموذج معرفي" يتحرك صوب القضايا ومنها "تحرير المرأة بالإسلام" و"..لرد الشبهات التي يثيرها على هذا النموذج غلاة الإسلاميين وغلاة العلمانيين، يصدر هذا الكتاب .." والتيار الوسطي في عرف عمارة هو "تيار التجديد" الذي يقف في مواجهة ".. المتعبدين بوقائع التاريخ والمتغربين، دعاة "التحديث على النمط الغربي"... فكان تيار التجديد وسطًا بين هذين الفريقين بما تعنيه "الوسطية الإسلامية" من العدل بين الظلمين، والحق بين باطلين، والاعتدال بين تطرفين .. والنظرة الشاملة التي تؤلف بين العوامل المختلفة والأقطاب المتقابلة لتخرج بمزيج جديد، برئ من النظرة القاصرة وحيدة الجانب!.. وهذه "الوسطية الإسلامية" التي وازنت بين "العقل" و "النقل" حتى لقد ألفت بينهما!...قد وازنت كذلك بين "الفكر" وبين "الواقع" .. الوسطية الإسلامية، قد برهنت على براءة حضارتنا من هذا الانفصال الحاد والانقسام العنيف.. "الوسطية الإسلامية" لدى تيار التجديد الإسلامي:- إسلام يهيمن على فكرية الأمة وواقع تتمثل فيه "المصلحة" التي جعلها الإسلام هدفًا تتحقق برعايته إرادة الله، إذ ما رآه المسلمون حسنًا فهو حسن عند الله!.. إن "الوسطية الإسلامية" قد رفضت وترفض الصوفية التي "تفنى" الإنسان في الله .. كما وترفض المادية التي تجعل الإنسان محور الكون الوحيد .. وهي تقدم للإنسانية المذهب الوسط .. الخلافة... والوسطية ... والتوازن والاعتدال .. بما تعنيه هذه النظرة من ربط الوسائل بالغايات وإحكام الروابط بين العلم والغاية منه..

وإقامة الصلات بين العمران وبين الإيمان .. وتأسيس العلاقة الودية بين الإنسان وبين الطبيعة ... إلخ ..إلخ.

إنها الحضارة العمرانية والمتدينة بهذا المنهج المجدد وبهذه الوسطية الإسلامية بتأسيس تقدمنا المنشود على "التمدن الإسلاميًا" فيبرأ من جمود الذين يتعبدون بوقائع التاريخ.. ومن تغريب الذين أرادوه تحديثًا على النمط الغربي!.."

النموذج الوسطي يُعرف بأضداده من تجليات وأشكال الغلو ".. موقف الإسلام من "الغلاة".. أن الإسلام هو دين اليسر، لأنه دين "الوسطية والتوسط" التي تعني الاعتدال ورفض التطرف في سائر الأمور ..(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر). وهو في هذا المقام يقوم بتحرير مصطلحات، تصنيف التوجهات والتيارات "تيار الجمود"، و"تيار التغريب" و"تيار التجديد".

وهناك مما يؤسس لهذا التيار ولفكرة "الوسطية" و"الاعتدال"؛ فالإسلام وفق من تبنوا النموذج الوسطي ".. منهج وسط للأمة الوسط، وهو يمثل (الصراط المستقيم) في كل مجال من المجالات ويجسد التوازن والاعتدال في كل شيء: في العقيدة، وفي العبادة، وفي

الأخلاق، وفي المعاملات والتشريعات كلها بعيدًا عن الغلو والتفريط.."، ويبدو أن الشيخ القرضاوي الذي يعد بتأسيس هذه الفكرة وذلك التيار يريد تحويل الفكرة إلى مؤسسة ".. وأنا الآن أسعى إلى تكوين جمعية ثقافية، أسميتها (جمعية الأمة الوسط في الفكر والثقافة) مهمتها: أن تورث (الفكر الوسطي) للأجيال الصاعدة عن طريق الدعوة والتثقيف والتعليم والتربية، بطريقة مؤسيسة عصرية .. كما أني أرى الإعراض عن هذه الوسطية هو الهلاك والضياع في الدين والدنيا معًا.. "جانب التفريط والتقصير"... و"جانب الإفراط أو التطرف كما يسمونه اليوم".. والخير كل الخير في التوسط والتوازن بين الغلو والتقصير أو بين الإفراط والتفريط أو بين الطغيان والإخسار... وهو ضمن هذا السياق يحدد "معالم تيار الوسطية" و"معالم الفكر الوسطي" و"المعالم الأساسية بمعنى السمات والخصائص – لتيار الوسطية" ... وجعل ضمن تلك المعالم الأساسية "إنصاف المرأة باعتبارها شقيقة الرجل.".. وقد يستطرد البعض لتحديد ما أسماه بمزايا الوسطية وأهمها "الاستقامة والخيرية والأمان والقدرة والتقبل؟..." وللوسطية مستلزمات ".. تأكيد وسطية الاعتقاد فلا نصل بين التشريع الإسلامي والعقيدة، وتعميق وسطية الإسلام في العيادات، وتكريس وسطية الإسلام في الأخلاق وإشاعة التوازن بين الروحية والمادية وخامسًا الانطلاق من منهج رباني واضح.." ثم يضيف حول بعض مظاهر الوسطية في التشريع ..".

الوسطية

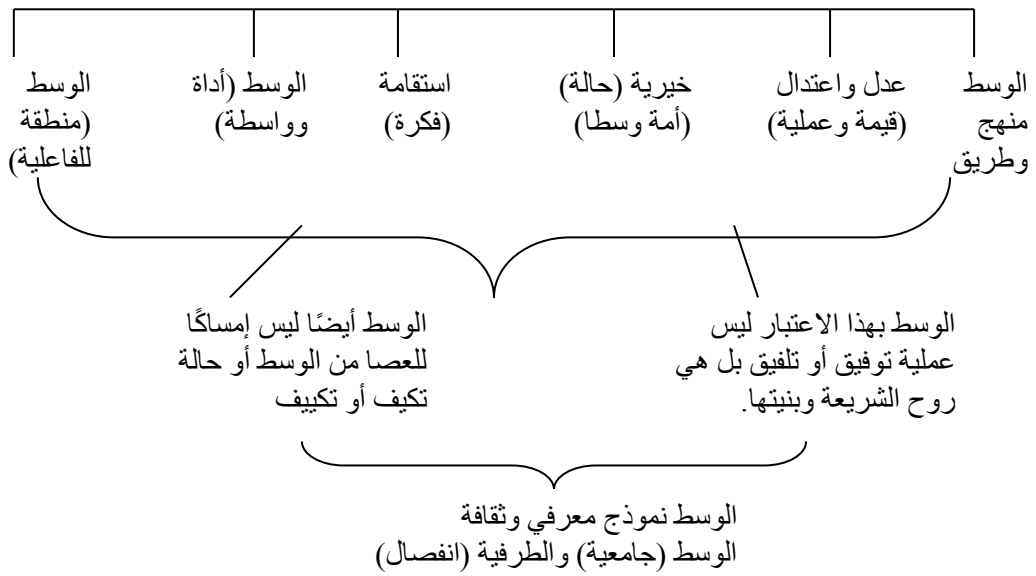

(2) التيـار الإصـلاحي والنمـوذج الوسـطي: محاولـة للتـأريخ: البحـث فـي الـذاكرة الحضارية:

ضمن دراسات ملف مجلة ثقافية أسمى نفسه "إشكالية النهوض في العالم العربي والإسلامي: وجهات نظر" يؤكد د. محمد أمزيان على سؤال المرجعيات في خطاب النهوض فإنه مع "سقوط الدولة العثمانية ككيان سياسي تكون الحضارة الإسلامية قد استكملت دورتها الكبرى، وبهذا السقوط تكون الحضارة الإسلامية قد غابت عن الأحداث العالمية ليبقى حضورها كثقافة مختزلة ومعزولة عن واقع الحياة، تعيش في ذاكرة الأمة ووجدان الأفراد هذا الموقف الذي تغيب فيه الذات كمركز ينتظم كل أشكال الوعي بالوجود تتحول فيه الذات (الحضارية) إلى مجرد لواحق وهوامش تدور في فلك الآخر ويسود الشعور بالضياع.. وينقلب الوعي الجماعي، وعي الأمة إلى ذاته يسترد أحداثها ويترصد محطاتها ويقرأ منعطفاتها بحثًا عن مركز الثقل ونقاط القوة فيها.." .."هذا التأمل للذات كان ولا يزال يشكل المحور الذي بقيت خطابات النهضة بشقيها الإسلامي والعربي تدور في فلكه بغض النظر عن توجهاتها الأيديولوجية والمذهبية.. ولكن ما هو مقياس الصلاح والإصلاح؟! .. وكيف نجد في مجموع الأجوبة (من موروثنا الحضاري) بعض ما يَصلُح جوابًا عن إشكالاتنا وهمومنا المعاصرة، ولكنها بالتأكيد لن تكون ملجأ يؤمن كل حاجاتنا..؟!.

انطلاقا من هذا الواقع الثقافي المحكوم بمنطق التبعية والإلحاق، بوعي أو بغير وعي، نجد قيمنا ومفاهيمنا وتصوراتنا لقضايانا المركزية في جاحة لإعادة تأسيس، ذلك أننا بغض النظر عن الموقع الفكري الذي ننطلق منه-أصبحنا نتفق على ضرورة تحقيق استقلاليتنا التاريخية. إن رغبتنا الملحة في التخلص من هيمنة المرجعية الغربية ينبغي ألا تسقطنا في هيمنة المرجعية التراثية، فالمرجعية التراثية بالنسبة لنا جزء من تاريخ تفاعل فيه عقل أجدادنا مع أصولنا الثابتة، والمطلوب ليس استعادة تجربة السلف بل إعادة التجربة، تجربة المعاناة والتفاعل المطلق في لحظتنا التاريخية الراهنة، وهو شرط أساس لتحقيق مشروع النهوض، لا يمكن تجاهله أو القفز عليه..".

إنه خلل أساسي وقفنا فيه على ذات المسائل ولم نقف على المناهج وكذا وقفنا على مسائل ليست مسائلنا واعتبارناها مسائل تخصنا، وبين هذا وذاك تاهت قضية المرجعية.

والسؤال الذي يثار الآن حول إشكالية النهضة –أو بالأحرى تساؤلات- حول كيفية انتزاع الريادة التاريخية من الغرب، تستدرج العقل العربي المسلم (الذات) إلى منطق تحصر في عينيه إمكانات الوجود في الكون في إمكانية الالتحاق بالغرب.. كلما انحصرت إشكاليات النهضة في طلب زحزحة الغرب عن موقعه طمعًا في احتلال هذا الموقع، صار الغرب يمثل سقف طموحنا؟!؛ فضاقت سبل الإبداع أمامنا وصرنا نلهج بذكر مقاصد غيرنا في الكون، وسَهُل علينا الدعوة إلى اقتباس وسائل لا تخدم مقاصدنا بقدر ما تملي علينا مقاصد غريبة عنا.

إن الاستقراء والاستكشاف التاريخي لفكر وتيارات النهوض، وللحركات الإصلاحية والتغييرية ليظهران كيف شكّل الغرب جاذبًا قطبيًا للتفكير النهضوي في أغلب

مطارحاتـه، فـي مسـألة النهـوض والتغييـر إذ تكفـي مراجعـة المعجـم التـداولي للمقـولات والمفردات والمفاهيم والتراكيب الثقافية المختلفة للتأكد والتحقق من كونية هذه الخطابات، إنها خطابات مستلبة وجوديًا من حيث إنها –عمومًا- وربما غالبًا- ترتد في قراءتها لمسألة النهوض إلى مبدأ قياس مفارق، يتمثل في النازلة الحضارية الغربية، باعتبار حالتها أصلاً قياسيًا: لقد تحكم هذا المبدأ القياسي في سائر المقترحات النهضوية بما في ذلك كثير من المقترحات التراثية والتي جعلت من الإسلام والتراث سندًا ومنطلقًا لها...

شكل خطاب محمد عبده عقدة حضارية مهمة وانتجت مدرسة –بل مدارس فكرية- وتوجهات برزت حاولت في معظمها أن تصل نفسها "بمدرسة الإمام" وخرجت من تحت عباءته تيارات فكرية، بدت في بعض تجلياتها متناقضة ومتنافرة، وبدت تسميات تظهر إلى الوجود مثل "الاتجاه الوسطي"، "النموذج الوسطي"، "الوسطية في الإسلام"، هذا الاتجاه أفرزته ظواهر عملية (الغلو الديني) و(الفكر العلماني) أكثر مما أفرزته دواعي معرفية، وبدت الوسطية تُعرَّفِا على توجه يختلف عنهما.. وهو في حقيقة الأمر يمثل رؤية من المفترض أن تكون سابقة ومؤصلة معرفيًا وحضاريًا قبل هذه الدواعي التي برزت على الساحة الحركية والثنائية.

وبدت قضايا تعاود الظهور ضمن ثنائيات فكرية تمثل الغلو وحالة وسطية بينهما، وانتشرت الكتابات ذات الطبيعة الدفاعية إما انتحارية أو اعتذارية، وتحركت صوب كل القضايا مجزأة ومجتزأة، وصار السجال الاقتتالي هو القاعدة، بينما ظلت مجتمعاتنا تواجه من التحديات التي هي أكبر بكثير من الاستجابات الفكرية حيالها.

إن ما يعرض مجتمع ما للخطر أثناء المنعطفات الأكثر حسمًا في تاريخها لا يعود إلى ضعف الإمكانات بقدر ما يعود إلى الفقر المدقع الذي تعانيه في أفكارها، في مناهج التفكير، ومناهج التسيير، ومناهج التدبير، ومناهج التغيير والتأثير والتمكين.

إنها قضايا يدور حولها نقاش لم يغلق أبدًا يستمر منذ قرن من الزمن في تحريك أفضل الطاقات الفكرية .. للقيام بمهمة عقيمة وغير مجدية مقطوعة الصلة بتطور الفكر ومساراته. في كل مرة سيمتشق الفرقاء كل أسلحة الترسانات الفكرية، وسنمارس حوار الطرشان.. وسيخرج علينا أطراف أخرى بعد حين تستهلك نفس الحجج دون أدنى تقدم .. بل إن مشاكلنا بدلاً من أن تنخفض تزداد بقدر ماتنتجه هذه العملية من آثار على المستوى الفكري.. نحن مدعوون في المرحلة الراهنة لنمونا أن نحرك أصول "تيار أساسي"؛ هذا التيار الأساسي يستند إلى قواعد كلية ورؤية كلية، نشهد حولها عالم أفكار أصيل يحدد عناصر ثقافة سفنية فكرية وحضارية جامعة دافعة رافعة إن المعارك الفكرية بين أبناء الوطن وتياراته هي التي تمكن لعمليات اقتلاع حضارية صرنا على أبوابها ونحن نتناوش على قواعد أصلية واضحة، ولكن نؤولها كل حسب مزاجيته دون احتكام أو أحكام منهجي، هذا التناوش وجدل بيزنطة والأعداء على الأبواب، والمفاهيم أصبحت تُبنى على الأرض وبعضها يبنى بالسلاح والوعي يزيف بمؤسسات للتضليل الإعلامي، قضية المرأة ليست بعيدة عن كل ذلك، وعن أمراض ومناطق خلل طالت فكرنا الإصلاحي.

رابعًا- القراءات وتحليل النص: "التحرير الإسلامي للمرأة.. الرد على شبهات الغلاة":

إن أي قراءة لا بد أن تكون قراءة هادفة وهي بهذا يجب أن تتفاعل مع مرجعيتها ومع واقعها ومع الأغراض القاصدة لها. فإذا كانت القراءة العالمة تهدف إلى التعرف على النص كينونةً ومكنونًا، بنية وبيئة، عناصر وسياقا، فإن القراءة الجامعة تقصد تحقيق مستوى من مستويات فاعلية القراءة بالجمع بين نصوص أو مفكرين، الجامع بينها وبينهم والناظم لنماذج متنوعة منها هو القضية موضع البحث أو التحليل. هاتان القراءتان (العالمة والجامعة) تعبر عن قراءات في سياق النص، أما القراءة الفاعلة من الواجب يمييزها من القراءتين العالمة والجامعة. أنها ترتبط برؤية القارئ وإعادة إنتاج النص مجددًا وتأثيراته في الواقع بكل عناصره، ولكن وهي مرتبطة برؤية القارئ يجب ألا تنفصل عن النص الأصلي، كما أنه من الواجب ألا تحمّل النص أكثر من طاقته أو تتعسف بقراءته باسم القراءة الفاعلة.

ضمن هذا المسار لابد من أن يشرع البحث في تقديم ثلاث من القراءات المتكاملة للنص:

القراءة العالمة، والقراءة الجامعة والمقارنة، والقراة الفاعلة والمتفاعلة.

وينضم للقراءات الأساسية تلك قراءات تكميلية يمكن توظيفها ضمن أحد هذه القراءات حسب النص ومعمار بقائه وإمكاناته، واحدة تتعلق بقراءة النص كرسالة اتصالية، وقراءة إجمالية تلخيصية يمكن تسميتها بالقراءة في أفق النص.

هكذا تتكافل القراءات وتتكامل، وتتعدد وتتنوع ينتظمها النص ويعيد نظم النص بما يحقق أصول الفهم والتدبر للنص وارتباطه بالواقع المعاش، هذا شأن النصوص الحضارية والمقاربات الحضارية لها، إن تحليل هذه النصوص تستأهل عمل منهجي في مستواها دون تفقد إمكاناتها النقدية.

(1) القراءة العالمة للنص

القراءة العالمة للنص تعني التعلم من النص وعنه وعليه حتى يصير القارئ عالمًا به (سماته الأساسية ومفاصله الفكرية، وبنيته الكلية وأهدافه القريبة والبعيدة)، كما تعني الدخول مع النص وفيه في حالة معايشة تجعل كل الأطراف ضمن حالة اتصالية وتواصلية كاملة. ضمن نظريات القراءة والتلقي.

كذلك تشتمل هذه القراءة العالمة على جملة –أو إن شئت الدقة- حزمة أو مصفوفة أو منظومة من القراءات الفرعية التي تكون في مجموعها أقصى درجات الكفاءة والكفاية في التعرف على مضمون ومكنون النص وحركة أفكاره، والإمكانات التي يحملها النص من أفكار وسياقات وقضايا ومفاهيم وعالم أفكار وحجج وغير ذلك من أمور. تباشر هذه القراءات البحث في خرائط النص وطبوغرافية، والبناء المفهومي، وأنساق الحجج، والعبارات المرجعية، والمسكوت عنه وفيه، فضلاً عن تحليل السياقات ما أمكن عمليات بعضها من بعض تسهم في بناء وعي القارئ بنصه موضع التحليل.

(أ) خرائط طبوغرافيا أفكار النص:

يتحرك عمارة في مجمل كتابه بين ثلاثة نماذج مهمة ناقدًا الأول والثاني منها، ومقدمًا النموذج الثالث في محاولة لمواجهة النموذجين بما يتضمنانه من مناطق خطأ وخطر على قضية المرأة في مناهج النظر والتعامل والتناول جميعًا:

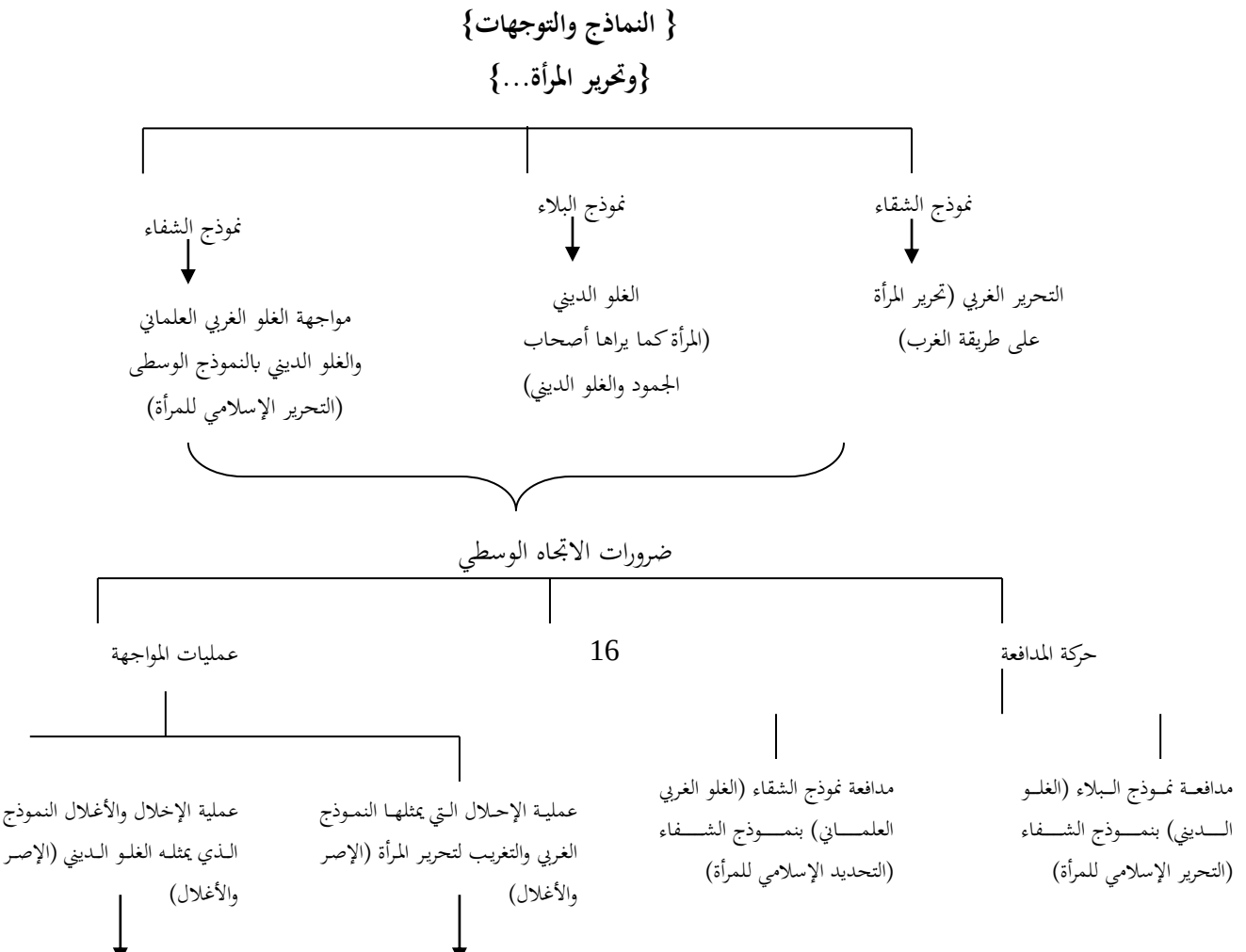

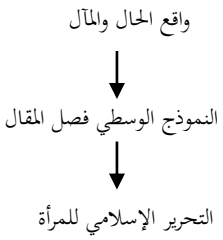
واقع الحال والمآل
النموذج الوسطي فصل المقال
التحرير الإسلامي للمرأة

{ النموذج الغربي والتغريبي (نموذج الشقاء)}

إننا أمام فصام نكد أفرز في حياتنا الاجتماعية بخصوص قضية إنصاف المرأة وتحريرها، نماذج متعددة، وأحيانًا متنافرة متناقضة في هذا الميدان.

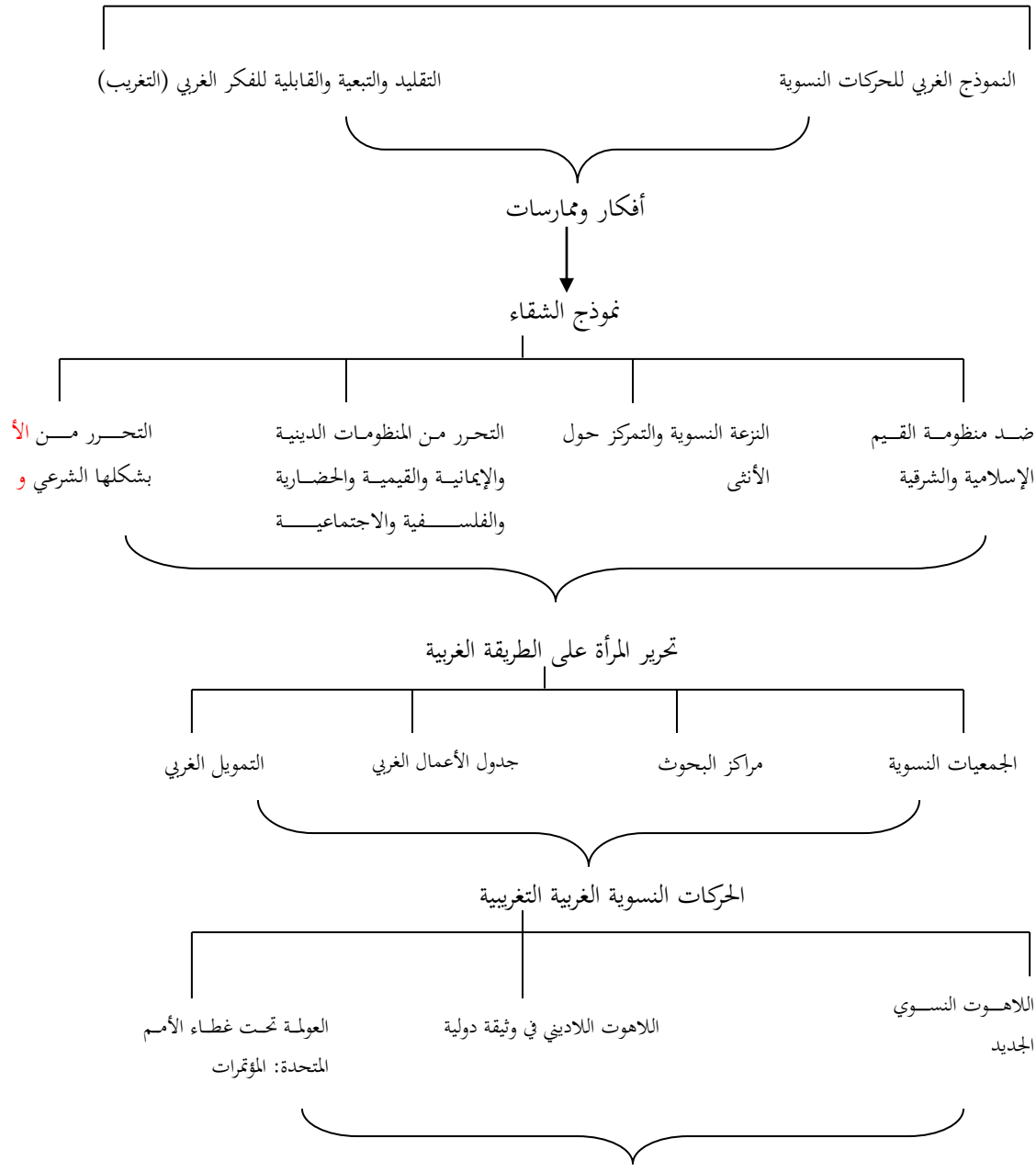

نموذج الإحلال وتجلياته

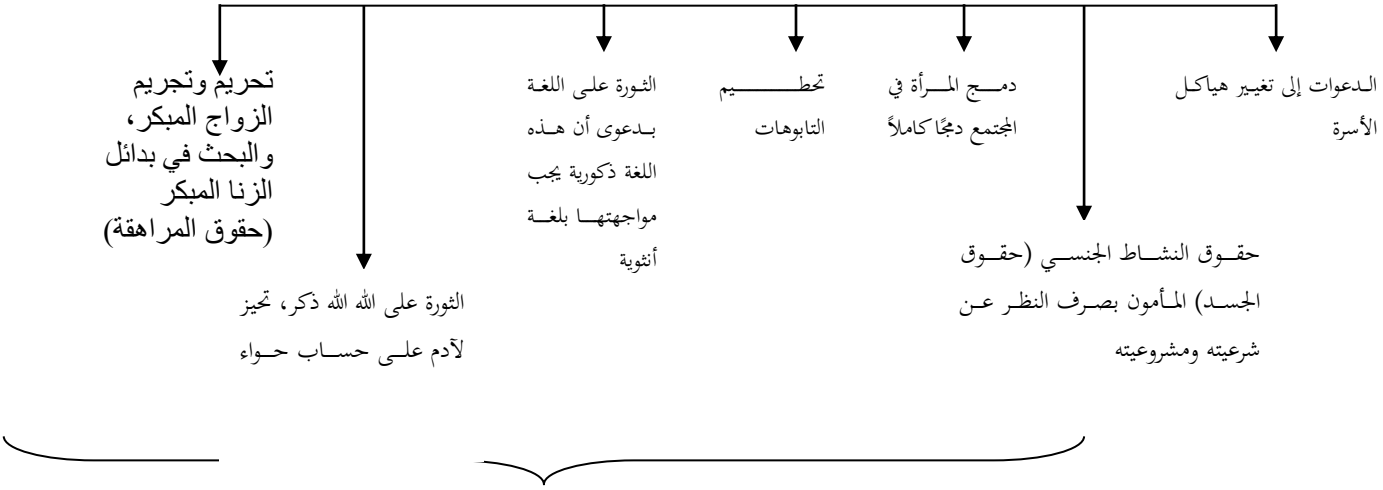

مآلات الأمر على مستوى الممارسات (نموذج الشقاء) وأمثلة دالة في هذا المقام خبرة الواقع

الخبرة التاريخية لحال المرأة في الحضارة المسيحية الأوربية

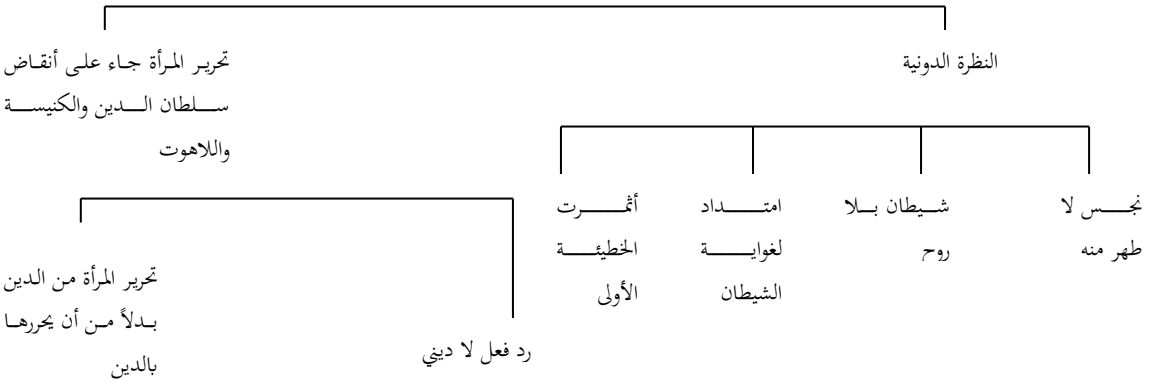

{نموذج الغلو والجمود الديني (نموذج البلاء)}

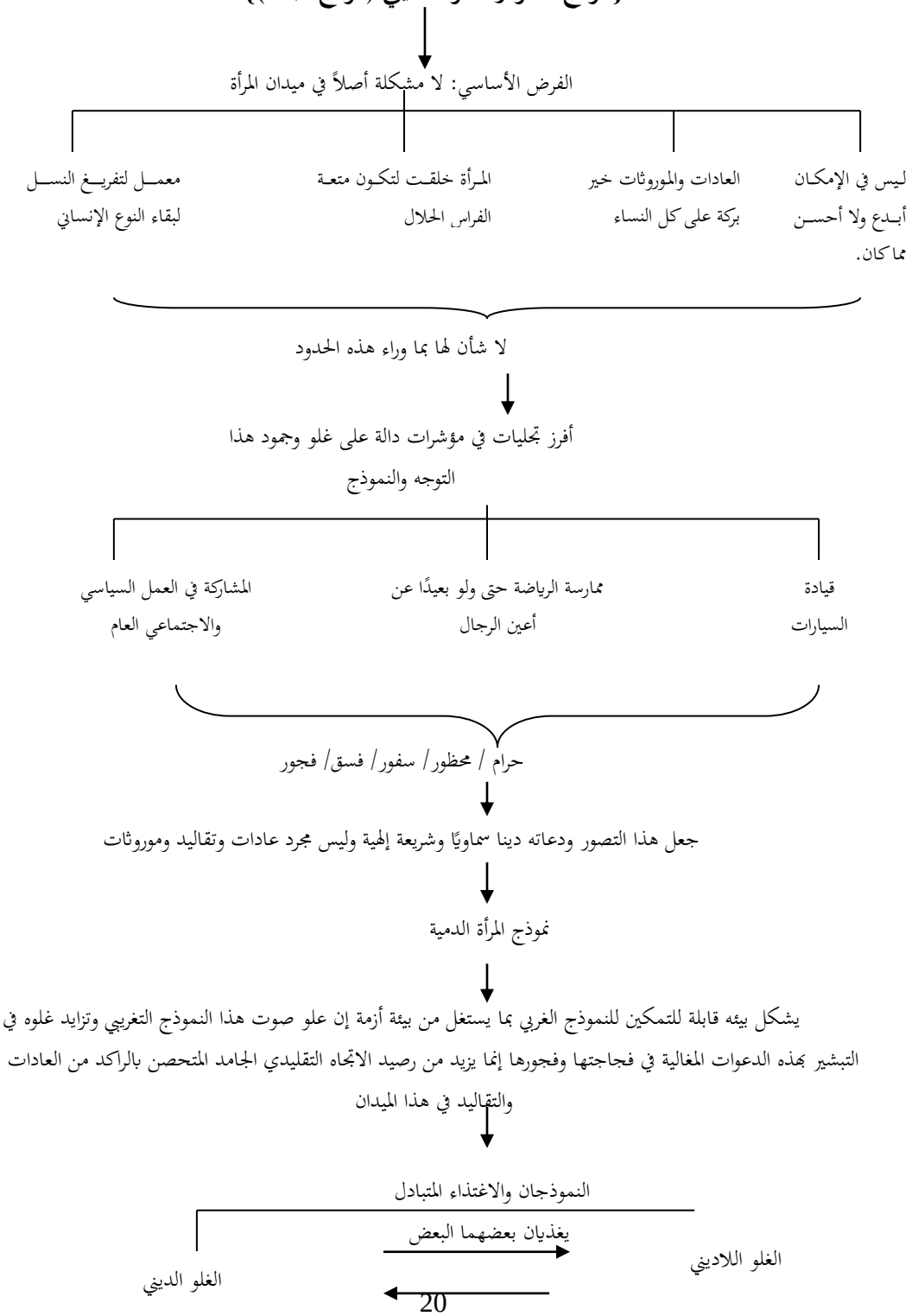

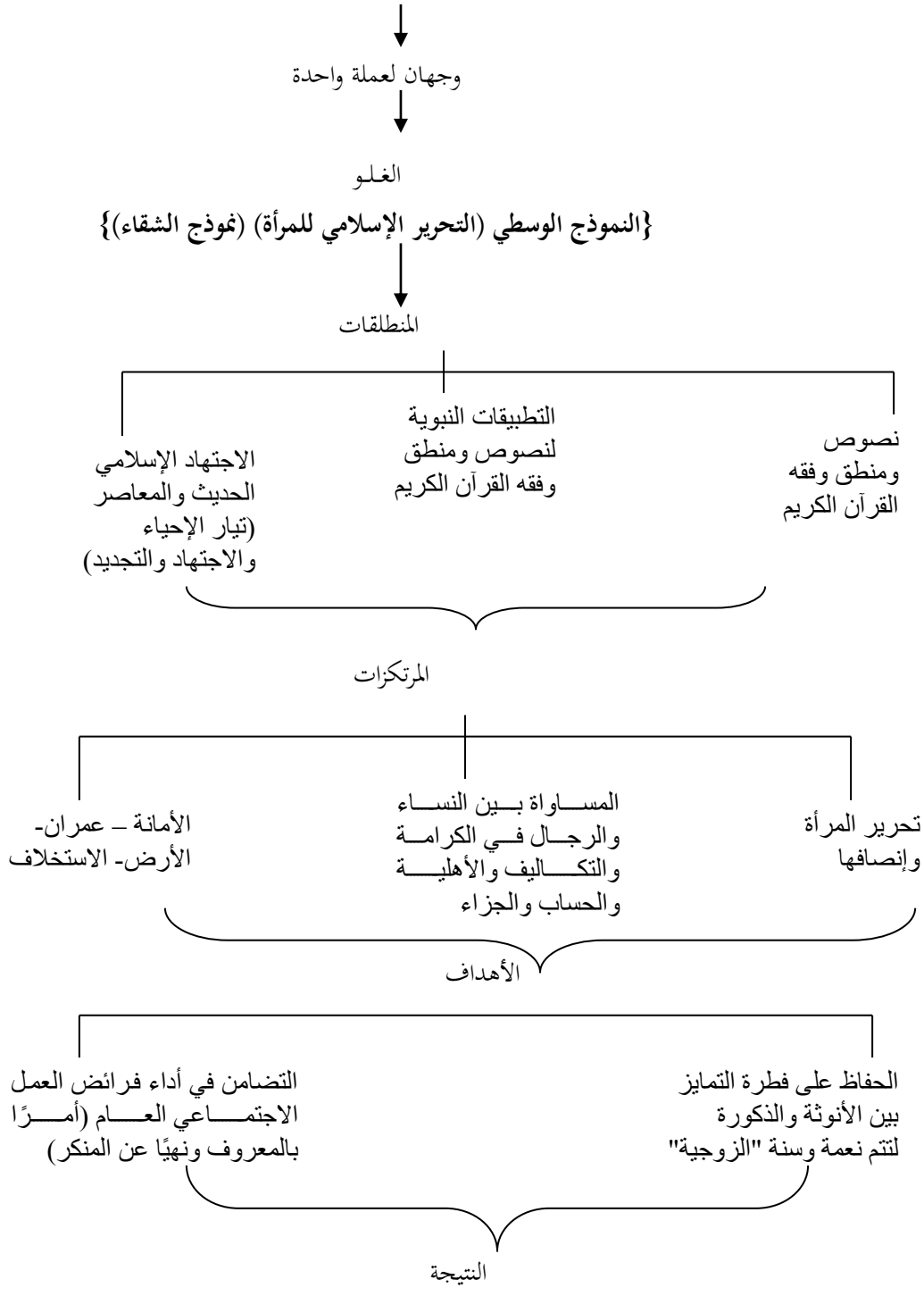
وجهان لعملة واحدة
الغلو
{النموذج الوسطي (التحرير الإسلامي للمرأة) (نموذج الشقاء)}
المنطلقات
نصوص ومنطق وفقه القرآن الكريم
التطبيقات النبوية لنصوص ومنطق وفقه القرآن الكريم
الاجتهاد الإسلامي الحديث والمعاصر (تيار الإحياء والاجتهاد والتجديد)
المرتكزات
تحرير المرأة وإنصافها
المساواة بين النساء والرجال في الكرامة والتكاليف والأهلية والحساب والجزاء
الأمانة – عمران- الأرض- الاستخلاف
الأهداف
الحفاظ على فطرة التمايز بين الأنوثة والذكورة لتتم نعمة وسنة "الزوجية"
التضامن في أداء فرائض العمل الاجتماعي العام (أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر)
النتيجة
تحرير المرأة المسلمة
إنقاذها من "الوأد" المادي والمعنوي
استثمار طاقاتها الفاعلة في بناء الأسرة والدولة والأمة والحضارة

مساواة تكامل الشقين المتمايزين لا مساواة التدين المتماثلين والمتنافرين

تطبيقات هادفة

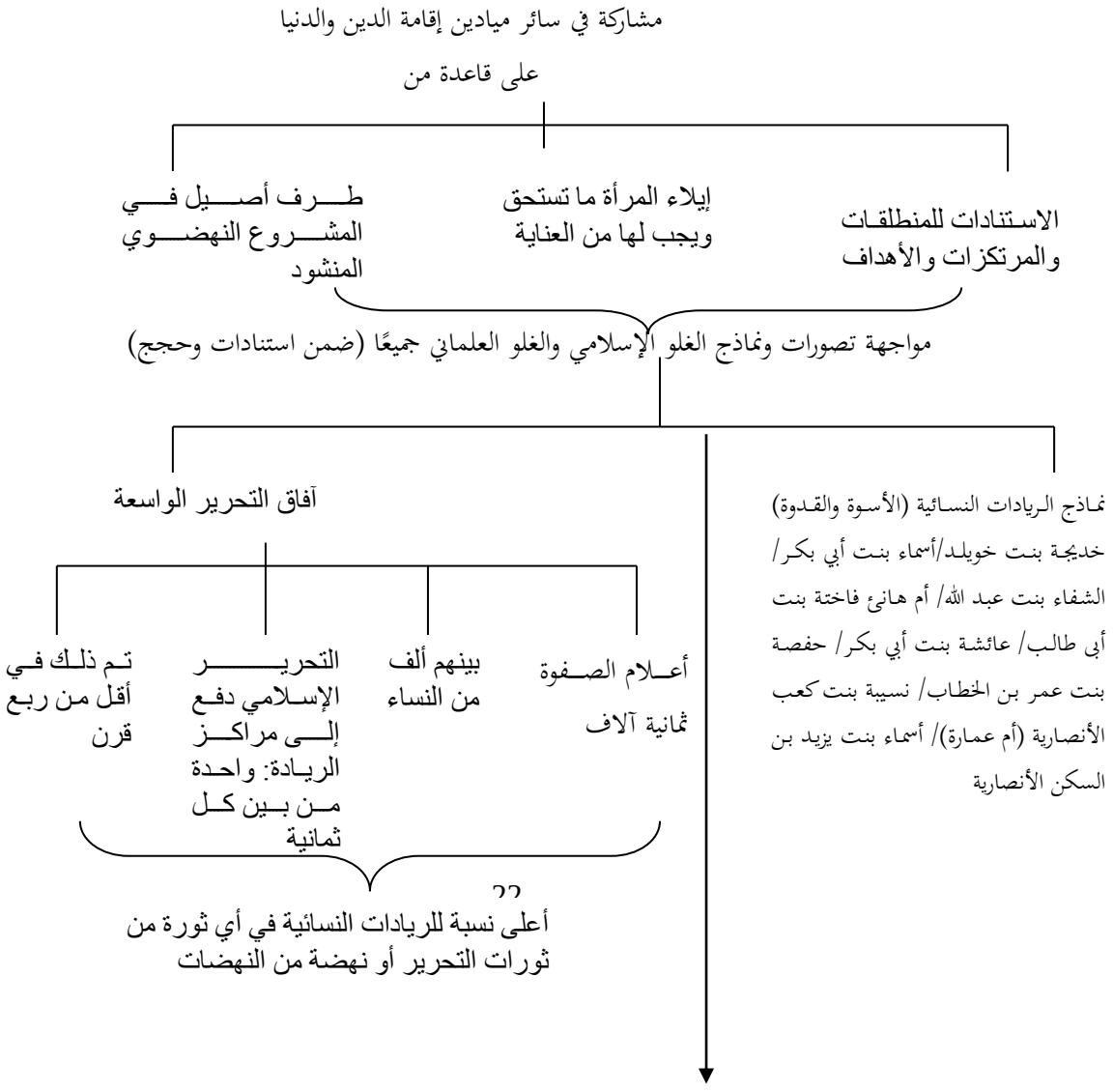

حتى مع التراجع تحت حكم المماليك والعثمانيين رصد عالم التاريخ والتراجم والطبقات عمر رضا كحالة.. ترجم لثلاثة آلاف من أعلام النساء في حضارة المسلمين

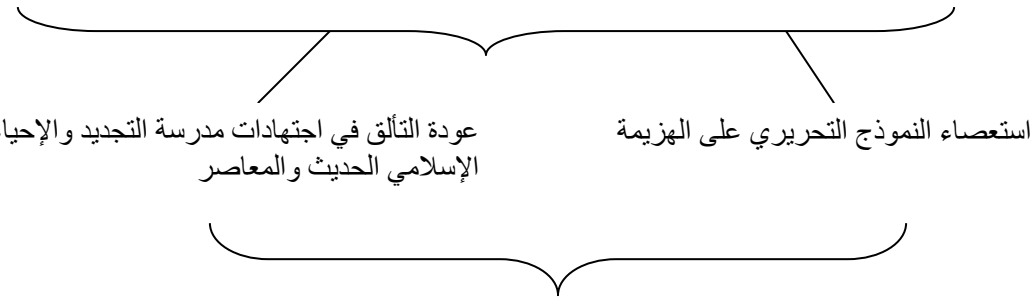

التحرير الإسلامي للمرأة

نموذج الشفاء في مواجهة نموذجي الشقاء والبلاء

{أهلية المرأة للمشاركة في العمل العام ضمن النموذج الوسطي للتحرير الإسلامي للمرأة}

مشاركة المرأة في العمل العام

الإسلام دين الفطرة

الاجتماع الإنساني والإيماني

الاجتماع والتنوع (الذكورة والأنوثة)

العلاقة بين النوعين: المساواة في أصل الخلق، والتكريم والارتفاق في العمل العام والحساب والجزاء

دوائر المشاركة والارتفاق في العمل العام

دائرة الأسرة
*مساواة التكامل
*المماثلة في الاشتراك في النهوض بالجتمع الأسري
*القوامة/ الدرجة/ المسئولية (المسئولية المتخصصة)
*تنوع التكامل وتكامل التنوع

دائرة الأمة والمجتمع
*المشاركة في العمل الاجتماعي العام
*الاندراج تحت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
*الأمة هي الصورة الأكبر للأسرة

النهوض بالفرائض والتكاليف الاجتماعية الكفائية

بيعة النساء

مجتمع المشاركة النماذج والمجالات (تأسيس الدولة - الهجرة النبوية - الفتنة – الجهاد- الشورى

الخلافة الراشدة

المشاركة في العبادات والاحتفالات

عناوين صحيح البخاري التي تشير إلى مشاركات النساء للرجال في مختلف ميادين العمل العام

في الجهاد النسائي

نهضة المرأة في صدر الإسلام

تحققت بجهاد نسائي وحركة نسائية، واحتجاج، وتنظيم نسائي نسائي في سبيل الحرية والتحرير ونيل الحقوق

جهاد نسائي يغالب الموروثات الجاهلية

عمر بن الخطاب يصف الحال في المدافقة بين الموروث وثورة الإسلام..

تعاليم الإسلام في تحرير المرأة وإنصافها.. تغالب الموروث الجاهلي

حضور النساء مجالس العلم

باب وافدة النساء وتأسيس جمعية نسائية

المشاركة في ميادين العمل العام

المرأة في الصفوة والنخبة

مجتمع القدوة والأسوة النبوية ومجتمع الاشتراك في العمل العام

واقع المرأة رغم الانحطاط

الضبط الوسطي لقاعدة سد الذرائع

الإطار الذي تعالج فيه قضية الاختلاط والاشتراك في العمل العام بين النساء والرجال

ضبط التطبيق في ضوء منهاج الوسطية الإسلامية المحققة للمقاصد الإسلامية مع الحذر من غلوى الإفراط والتفريط..

الموازنة بين المصالح والمفاسد

الوسيلة المباحة تفضى إلى المفسدة غالبًا أو كثيرًا

المفسدة أرجح من المصلحة

المنع بين الكراهية والتحريم حسب درجة المفسدة

الوسيلة تفضي لمصلحة أرجح

كثير ممن يطبق القاعدة يعتقدون في المجتمع المثالي الإسلامي

الرؤية للمجتمع المثالي الإسلامي وتحقيق المثل الإسلامية

تحريم الخلوة لا الاختلاط

الدعوة للحشمة الإسلامية

تعامل المجتمع النبوي مع القضية والشوائب والأخطاء المتعلقة بها، بالموازنة بين المصالح والمفاسد

ترشيد الواقع ليقترب من المثال وليس بتحريم المباح سدًا للذرائع

نموذج تحرير المرأة والمشاركة في العمل العام

{النماذج الثلاثة: ودواعي تأسيس النموذج الوسطي في التحرير الإسلامي للمرأة}

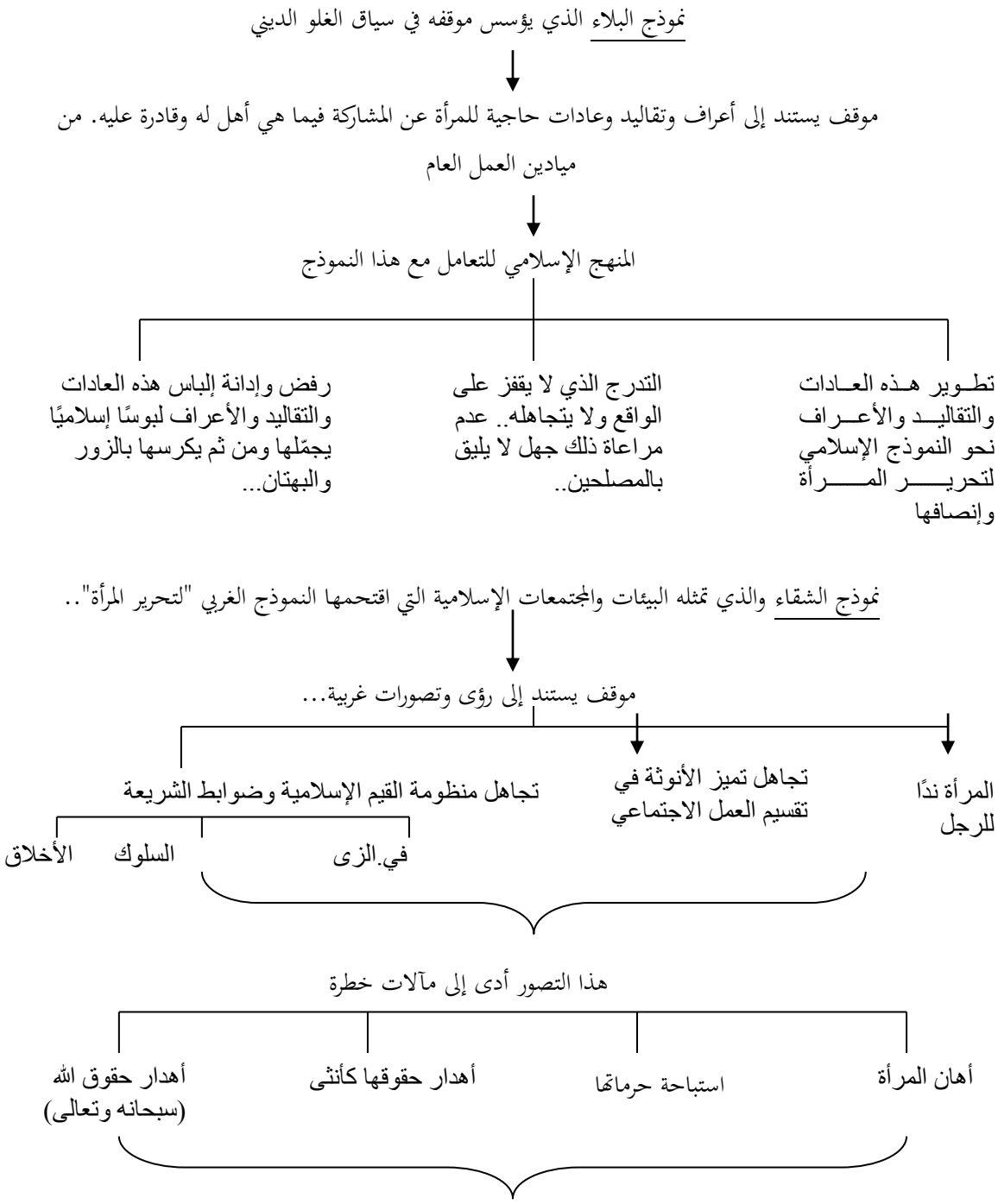

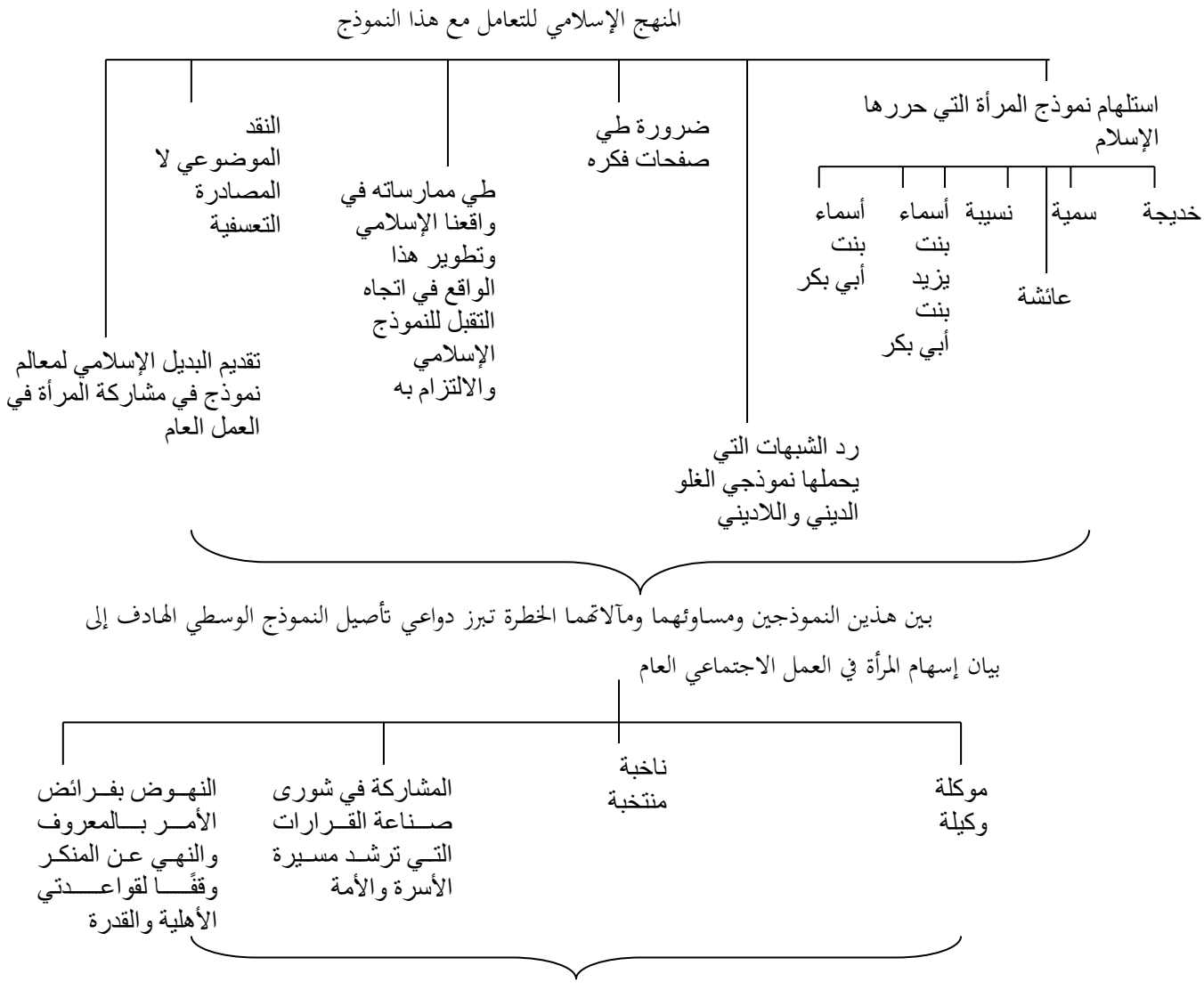
المنهج الإسلامي للتعامل مع هذا النموذج
استلهام نموذج المرأة التي حررها الإسلام
خديجة
سمية
عائشة
نسيبة
أسماء بنت يزيد بنت أبي بكر
أسماء بنت أبي بكر
ضرورة طي صفحات فكره
طي ممارساته في واقعنا الإسلامي وتطوير هذا الواقع في اتجاه التقبل للنموذج الإسلامي والالتزام به
النقد الموضوعي لا المصادرة التعسفية
تقديم البديل الإسلامي لمعالم نموذج في مشاركة المرأة في العمل العام
رد الشبهات التي يحملها نموذجي الغلو الديني واللاديني
بين هذين النموذجين ومساوئهما ومآلاتهما الخطرة تبرز دواعي تأصيل النموذج الوسطي الهادف إلى بيان إسهام المرأة في العمل الاجتماعي العام
موكلة وكيلة
ناخبة منتخبة
المشاركة في شورى صناعة القرارات التي ترشد مسيرة الأسرة والأمة
النهوض بفرائض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقفًا لقواعدتي الأهلية والقدرة

كل هذه الأدوار في العمل الاجتماعي والسياسي العام بشرط ألا يخل بحق وواجب المرأة لأسرتها، أو بضابط من الضوابط الشرعية

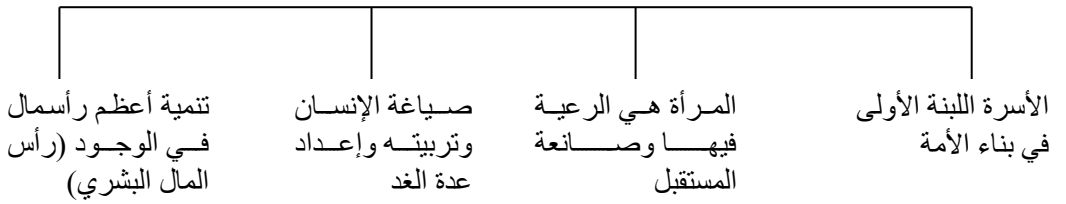

(ب) التحليل الحججي للنص
خمس شبهات حول النموذج الإسلامي لتحرير المرأة نموذجًا.

يمكننا وبيسر تطبيق عناصر التحليل الحججي للنص في سياقات مباشرة وردت بالنص تشير ومن أقرب طريق الطريقة الحجاجية ومنهاجية الحجاج التي توسلها النص في إيصال فكرته المحورية، وقد بدا للقارئ هذه الطريقة من خلال استخدام مباشرة لمفاتيح مشيرة إلى ذلك من قبيل:

"الشبهة" و"الرد"، وهي غالبًا مصطلحات دائرة في علوم المناظرة، وهو أمر يبدو محوريًا في جملة الطرائق التي يتوسلها د. محمد عمارة في معظم كتاباته ما تعلق منها بالمرأة وما تعلق منها بقضايا أخرى.

وربما في البداية يحسن أن نشير إلى منظومة القضايا ضمن هذا البناء الحججي والتي تمثلت في خمس شبهات شاعت استدعت الرد والتوضيح والبيان بما يتوافق مع أصول المنهج الحجاجي

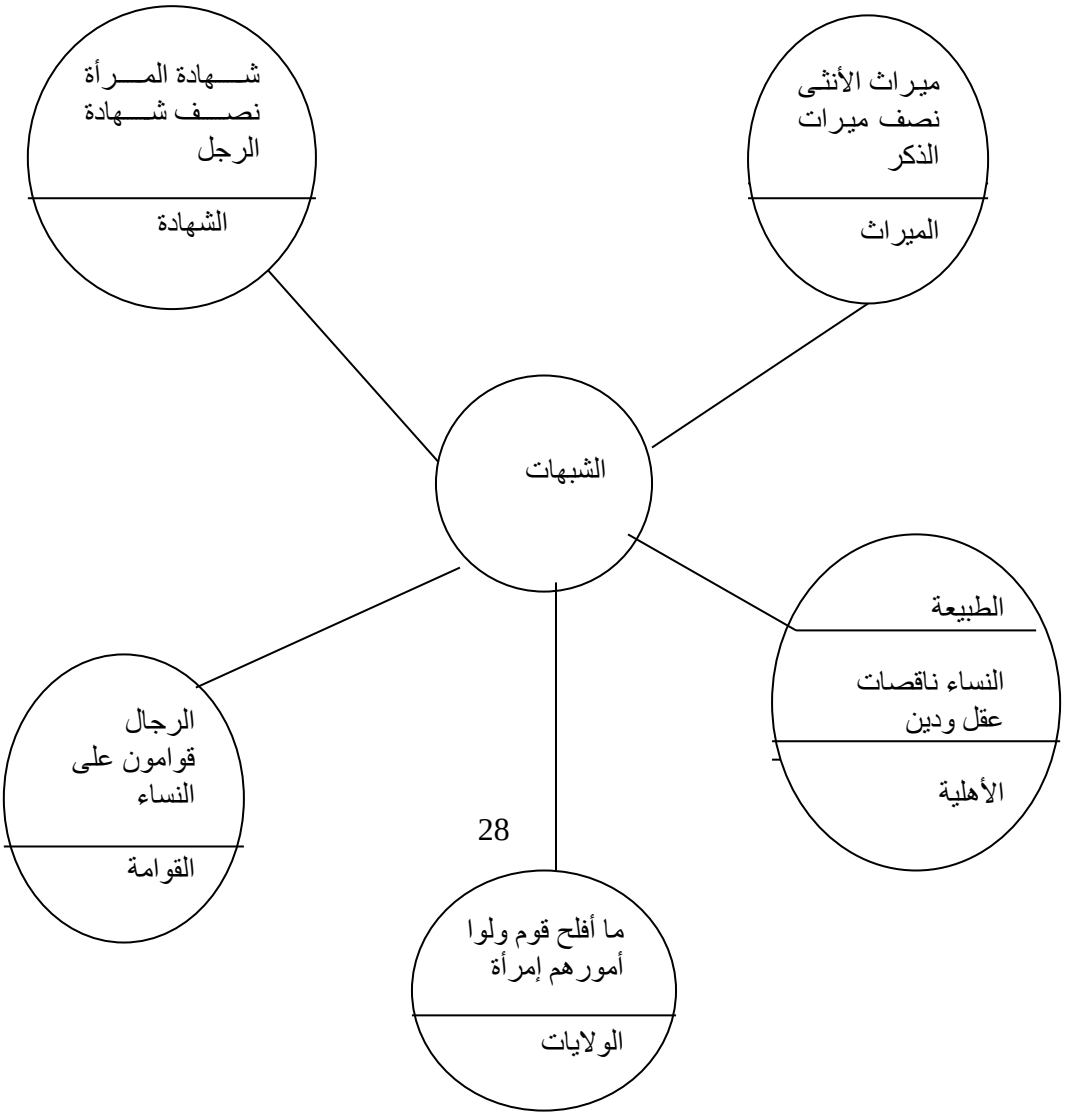

ويحدد عمارة قيمة هذا النهج في إبراز النموذج الوسطي لتحرير المرأة في الإسلام وبالإسلام إذ يؤكد "ولأن هذه الرؤية التي قدمناها هي الوسط –أي الإسلامية الحقة.. كما نحسب- فلقد اتفق أطراف الغلو على ما أثير ويثار ضدها من شبهات!.. فصدقت، في هذا الإتقان الذي جمع طرفي الغلو... على الجمود والتقليد لتراث عصر تراجعنا الحضاري.. وغلو الجمود والتقليد العلماني للنموذج الغربي الوضعي اللاديني –صدقت في هذا الاتقان والاجتماع المقولة السياسية المعاصرة التي تقول: إن أقصى اليمين وأقصى اليسار إنما يجتمعان على الأرض المشتركة للموقف الخاطئ!.."

ومن هنا رأينا طرفي الغلو الديني واللاديني يجتمعان على إثارة خمس شبهات .. يحسبها الإسلاميون الغلاة، الذين حملوا العادات والتقاليد الراكدة على الإسلام، فجعلوها دينا... يحسبونها مانعة دينيًا من اكتمال أهلية المرأة، ومن مشاركتها في العمل الاجتماعي العام.. ويحسبها غلاة العلمانية عقبات إسلامية تحول دون اكتمال أهلية المرأة، فتجعل منها –من ثم نصف إنسان .. ولذلك كانت دعوتهم إلى إسقاط الحل الإسلامي لتحرير المرأة، وإلى التماس هذا الحل في النموذج الغربي لهذا التحرير.."

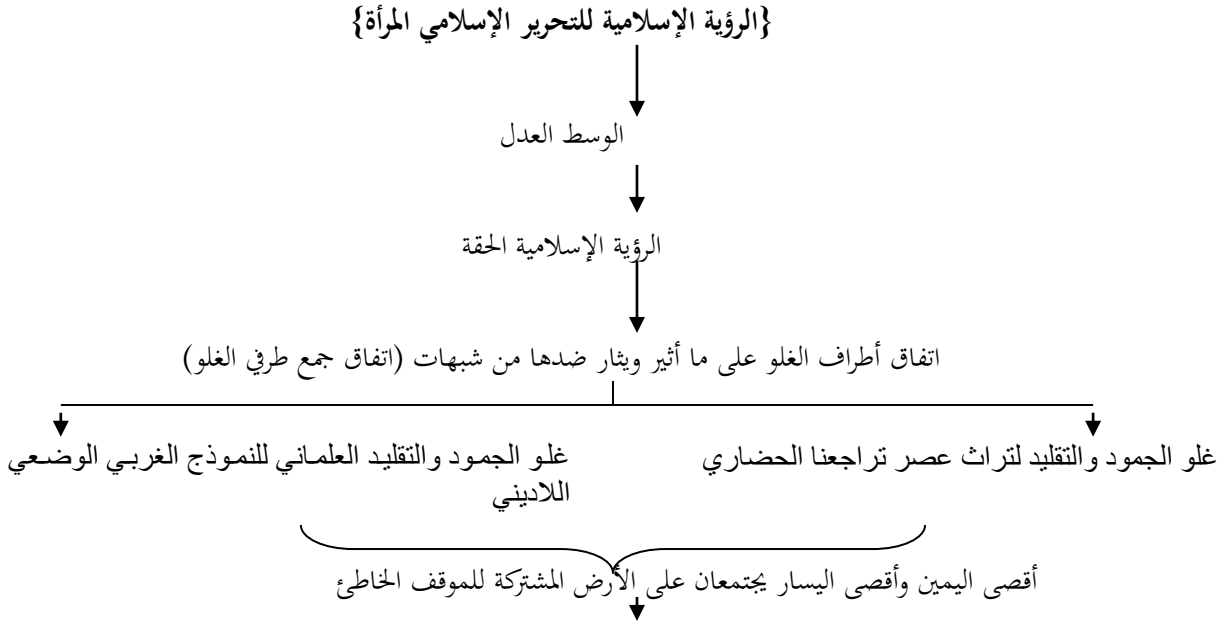

طرفا الغلو الديني واللاديني يجتمعان على إثارة خمس شبهات..

يحسبها الإسلاميون الغلاة الذين حملوا العادات والتقاليد الراكدة على الإسلام فجعلوها دينًا، يحسبونها دينيًا مانعة من اكتمال أهلية المرأة ومن مشاركتها في العمل الاجتماعي العام

يحسبها غلاة العلمانيين عقبات إسلامية تحول دون اكتمال أهلية المرأة، فنجعل منها، نصف إنسان، ولذلك كانت دعوتهم لإسقاط الحل الإسلامي لتحرير المرأة وإلى التماس هذا الحل في النموذج الغربي لهذا التحرير

رغم اختلاف وتناقض المنطلقات والانتماءات اتفق "أهل الغلو" الديني واللاديني على إثارة

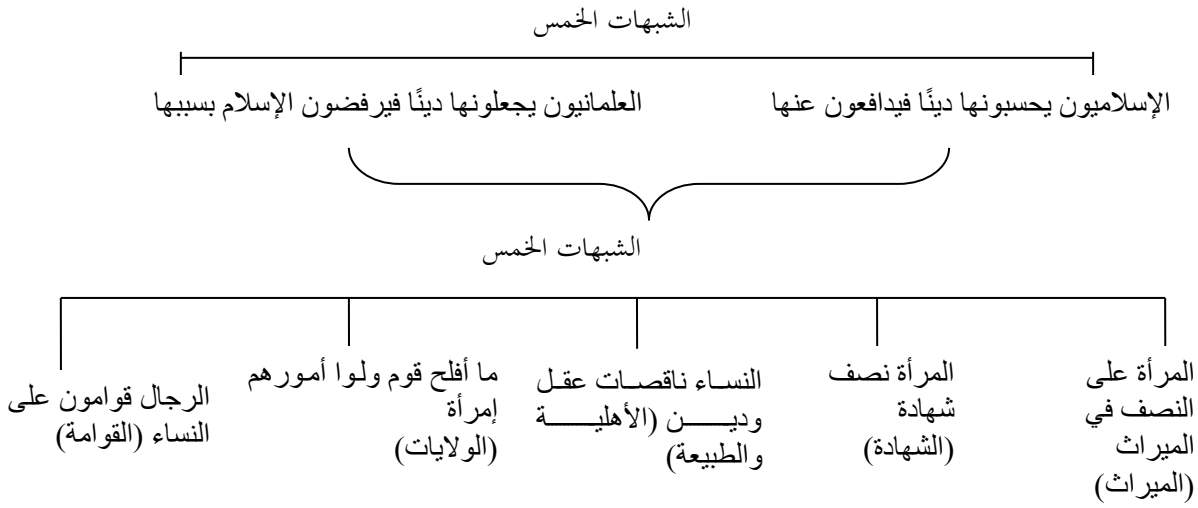

{شبهة في مجال الميراث}
أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل
هناك أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل، أو أكثر منه، أو ترث هي ولا يرث نظيرها من الرجال في مقابلة أربع حالات محددة ترث فيها المرأة نصف الرجل..
"فصل المقال"
"علم الفرائض"
الحجة الرئيسة
توريث المرأة على النصف من الرجل ليس موقفًا عامًا ولا قاعدة مضطردة في توريث الإسلام لكل الذكور وكل الإناث
الصياغة الإحصائية للحجة والاستقراء لحالات ومسائل الميراث
هناك حالات أضعاف هذه الحالات الأربع ترث فيها المرأة مثل الرجل تمامًا
هناك حالات عشر أو تزيد ترث فيها المرأة أكثر من الرجل
هناك حالات ترث فيها المرأة ولا يرث نظيرها من الرجال
حجة فرعية
التفاوت في أنصبة الوارثين والوارثات
منطوق الشبهة
توريث المرأة على النصف من الرجل السند الاستظهاري للشبهة "للذكر مثل حظ الأنثيين"
إسناد الشبهات حول أهلية المرأة متخذين من التمايز في الميراث سبيلاً إلى ذلك
حجة فرعية
كيفية إعمال المعايير وتطبيقها عند عملية التوريث وحالاته
حجة فرعية
الفقه الحقيقي لفلسفة الميراث في الإسلام تكشف أن التمايز في أنصبة الوارثين والوارثات لا يرجع إلى معيار الذكورة والأنوثة
معيار درجة القرابة بين الوارث والموروث
معيار موقع الجيل الوارث من التتابع الزمني للأجيال.
فلسفة الميراث الإسلامي تستند إلى ثلاثة معايير: المقاصد والمعايير لهذه الفلسفة الإسلامية في التوريث حكم إلهي أم أحكام إلهية و مقاصد ربانية خفيت على الذين جعلوا من التفاوت في بعض مسائل الميراث وحالاته شبهة على كمال أهلية المرأة
حجة تأسيسية
قاعدة
معيار العبء المالي الذي يوجب الشرع على الوارث تحمله
الاجتهاد في تعليل الأحكام

{شبهة في مجال شهادة المرأة}

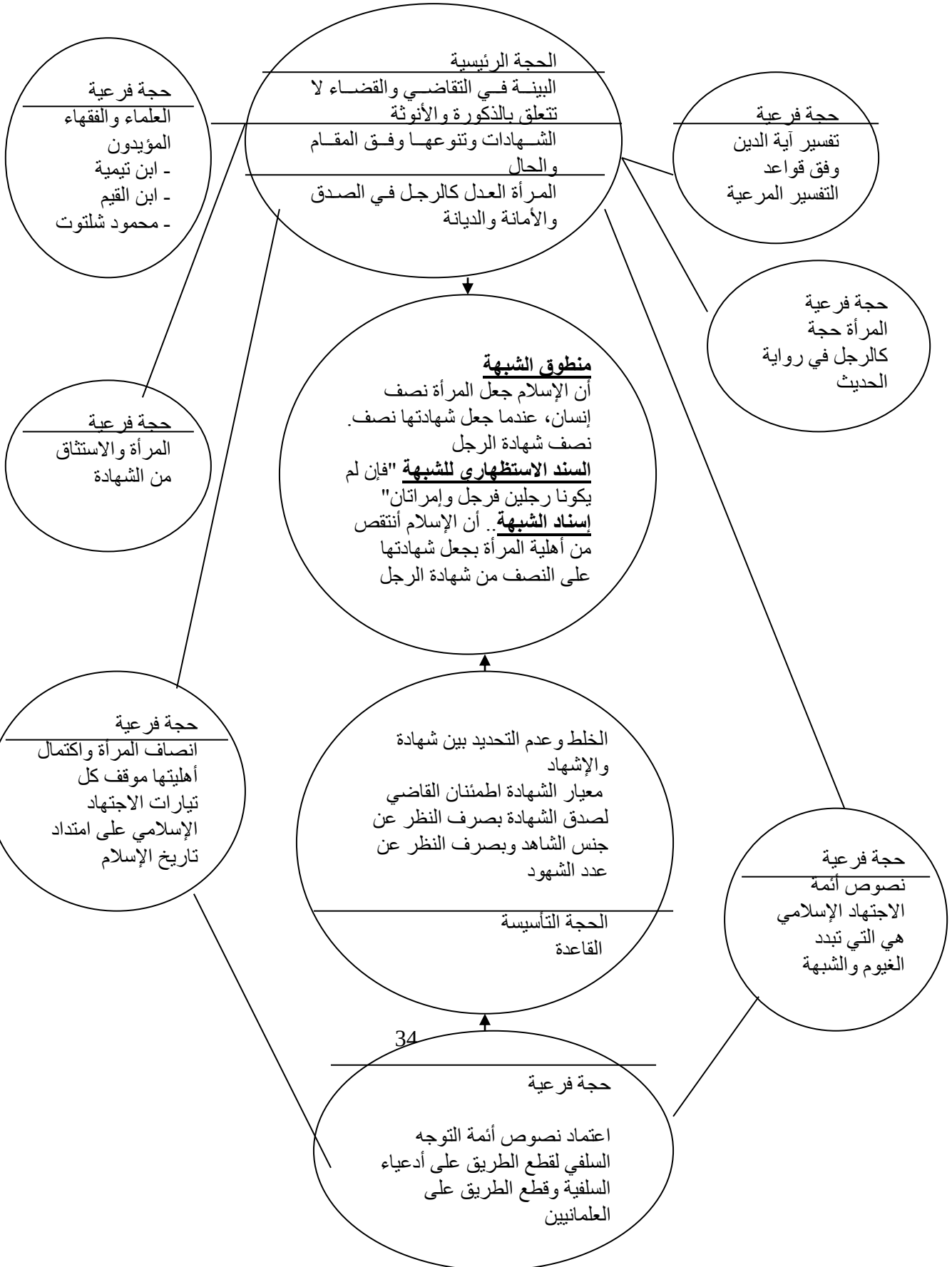

{شبهة أهلية المرأة وطبيعتها (النساء ناقصات عقل ودين)}

{شبهة المرأة والولايات العامة}

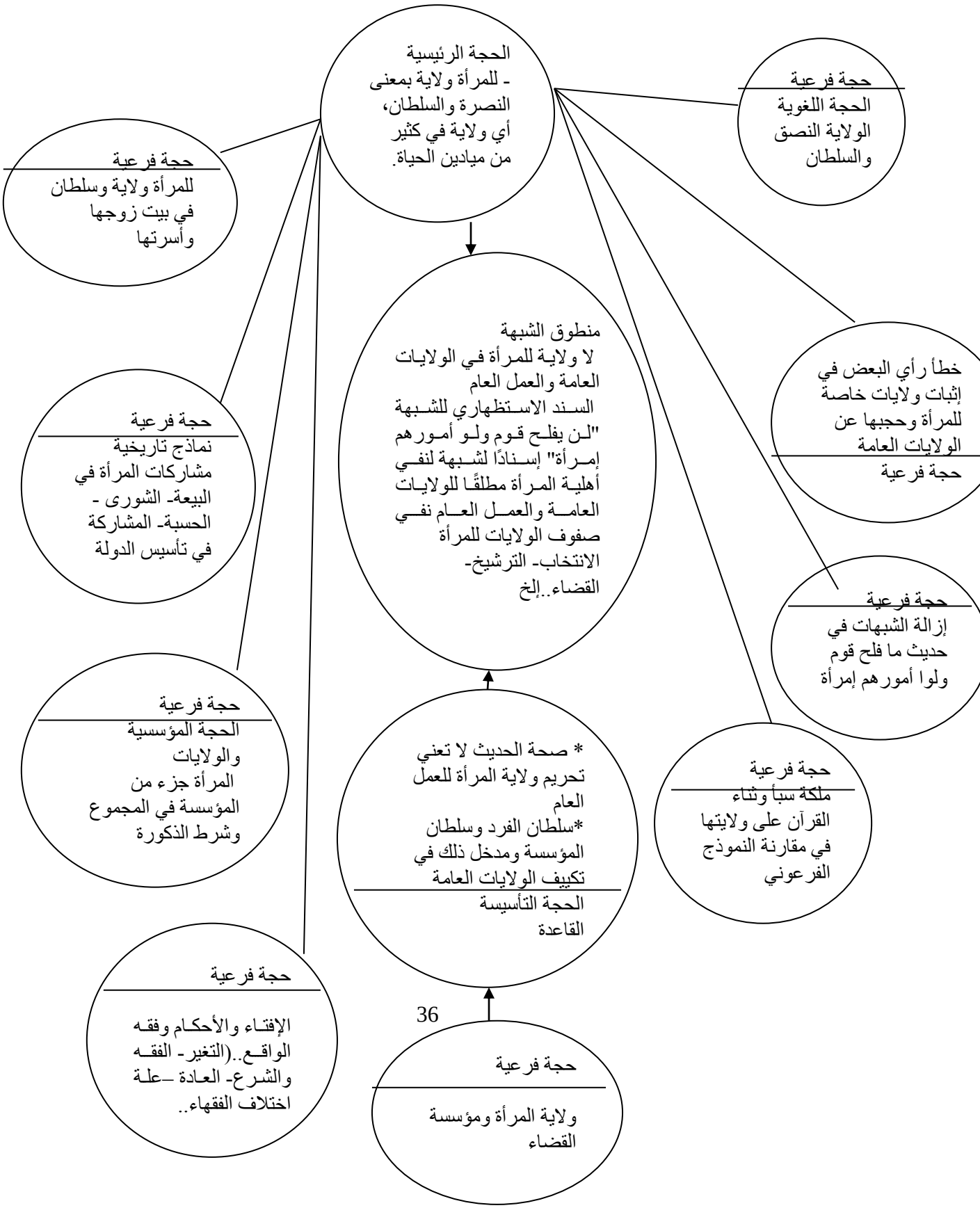

{ الشبهة المتعلقة بمفهوم القوامة}

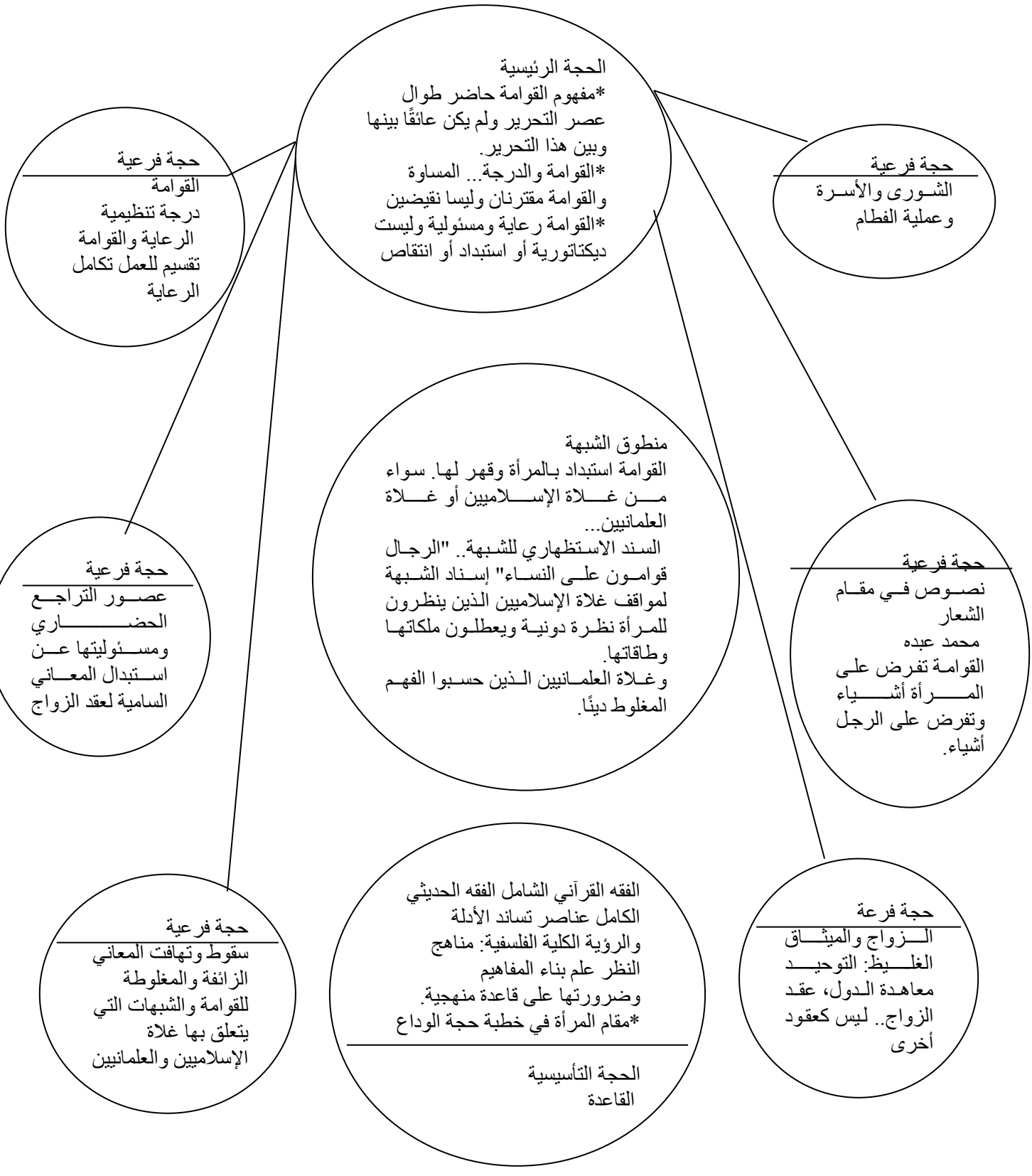

تعليق عام على البناء الحججي وتحليل أنساق الحجج في النص:

* من الجدير بالذكر أن نسق الحجج لم يقتصر في النص على "فصل الشبهات" فحسب بل امتد إلى معظم موضوعات النص، يبين ذلك من "هدف النص الأساسي"، و"عنوان النص" الذي يشير بطبيعته إلى قضية تراكمت بصددها السجالات والحوارات والخطابات، على مدى امتداد زمني لا نستطيع بأي حال من الأحوال إهمال تراكماته ومفرداته ومكوناته كخطاب شكَّل خلفية لمثل هذا النص وتصور إدراكي لطبيعة القضية.

* محاولة استقراء النسق الحججي يمكننا من النظر إلى مجموعة من عناصر (تصنيف الحجج) (وبناء الحجج) (وطرق الإقناع).

* أن الشبهة والحجة في فصل الحجج شكَّل وفرض إطارًا منهجيًا، كما فرض شبكة المصادر المرجعية ومن الملاحظ أن الشبهات الخمس عبرت في منطوقها عن أجزاء من "آيات قرآنية" أو كلمات من أحاديث نبوية: "للذكر مثل حظ الأنثيين" في الميراث، "فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان" في الشهادة، "والرجال قوامون على النساء" في القوامة، هذه أجزاء من آيات قرآنية، أما الأحاديث فتشير إلى: "النساء ناقصات عقل ودين" في الطبيعة والأهلية، "ما أفلح قوم ولوا أمورهم إمرأة" في الولاية.

وبدا الأمر ضمن كلمات انتقلت إلى دائرة الشعارات السجالية أكثر من كونها مؤشرًا على إدارة حوار منهجي.

غالبًا ما تعول على آليات "الاقتطاع والابتسار"، "إهمال السياق"، "إهمال أسباب الورود في الحديث "استغلال عملية التأويل"، "اقتناص الدليل". وشكلت هذه المجالات مجالاً خصبًا لحالة سجالية فقدت كثير من منطقيتها، ومزيد من استقامتها العلمية وموضوعيتها.

تصنيف الحجج وإمكانات توظيفها

حجج المنهج	حجج المصدر والتوثيق	الحجج الموضوعية
*حجج التأويل القواعد والضوابط *الحجج المتعلقة بالمنهاجية المقارنة (المقارنة الداخلية عبر الحضارة والثقافة الواحدة، والخارجية عبر الحضارات) *حجة المقابلات والمفارقات (الغلو الديني والغلو اللاديني العلماني)	*الحجة اللغوية (مفهوم الولاية والنصرة) *الحجج والمنقول المعتبرة (إذا كنت ناقلاً فالصحة والصدقة) *الحجج المستندة إلى المصادر المرجعية (القرآن والسنُّة) *الحجج التاريخية (ونماذج الأسوة والقدوة في خبرة المسلمين)	* الحجة الواقعية (واقع المرأة العربية والمسلمة). *الحجة السفنية (المرأة وسفنية الأمة). *الحجة الوسيطة وحجية النموذج الوسطي. *الحجة المفاهيمية (مفهوم القوامة) (مفهوم الميثاق الغليظ) (الرعاية) *الحجة الإسلامية

*حجـــة الأشـــباه والنظائر وعلم الفروق. *الحجـــج المتعلقـــة بالبحث الاجتماعي وأصول دراسة الظواهر الاجتماعية (دراسـات علـم الـنفس فـي الفروق) *حجـة وشـهد شـاهد من أهلها تحكيم أئمة السلف فـي تـابعيهم {ابن القيم، ابن تيمية} *الحجـــج المنطقيـــة العقلية وعمليات القياس)	* الحجج التـي تتعلق بالشـــعر (ناقـــل للصـــورة وصناعتها في الثقافة) * مؤشـرات مشـاركة المـرأة فـــي إطـــار أبـــواب الكتب العمدة (كتب التراجم، كتـــب الحـــديث وتصـــينف أبوابها) *الجحـة الإحصـائية (الصـفوة النسـائية) (دراسـة علـم الـنفس) (علـم الفرائض وأنصبة الميراث) *جحـــح الإســـناد لاجتهـــادات معاصـــرة ووصلها باجتهادات قديمة. *حجـــج الاســـتدعاء لكتابـات معينـة فـي إيضـاح رؤيته وموقفه *الحجـــج الفقهيـــة والأصـــولية (الضـــبط الوسطي لقاعدة سد الذرائع) (الحجـج الشـرعية الـواردة في كتابات العلماء والفقهاء)	التدرجية فـي إزالـة الأخطـاء والانحرافـات وخلـل التفكيـر والتدبير والتغيير. *الحجـــة الحقوقيـــة (ارتباط الحقوق بالواجبات) *الحجـــة المؤسســـية (ســـلطان الفـــرد وســـلطان المؤسسة). *الحجـج المقاصـدية (مقاصد وفلسفة التوريث) *الحجـــج الدفاعيـــة (مباحـــث الشـــبهات والـــرد عليها في موضوعات خمس "الميراث، الشهادة، الأهلية، الولاية، القوامة)

ضـمن هذه الملاحظـات يحسـن الإشـارة كـذلك إلـى فحـص وسـبر محتـوى الحجـة، والذي كما سبقت الإشارة أن "الحجـة والشبهة والـرد" فرضـت الشكل الحجـاجي، وتنـازع عملية التفسير والتأويل، وكان أسلوب حشد الحجج وتساند الأدلـة والنظـر الفقهـي الشـامل والتعرف علـى منظومـة الأدلـة عمليـة حـاول د. عمـارة بأقصـى طاقتـه أن يتحـرى جوانبهـا المنهجية.

ومـن المهم كـذلك أن نشـير ضـمن منطـق الشبة والـرد، فقد التـزم طريقـة استقصـاء حجة الخصم، واستقصاء بيان الإجابة والرد، على مـا أوضـحنا مـن أشـكال سـابقة رصـدت الشبه الخمس وطرائق التعامل والرد عليها.

وبدا شكل المناظرة والجدال والحجاج كشكل قديم موروث مهمينًا على أداء النص وفي إطار استخدم في بعض الآونة توليد الأسئلة وتوليد الحجج، واللجوء إلى حجج رئيسة وأخرى فرعية وأخرى تأسيسية تمثل قواعد ومناهج النظر والتعامل والتناول.

وقد حاول كاتب النص مع رصد الحجج المختلفة، وتنوع أساليب عرضها، أن يقدم حججًا ضمن عرضه على نحو وظيفي، فالبعض منها مؤسس، والبعض الآخر كاشف، والبعض الآخر فارق، ومجموعة منها اتجهت توجهًا نقديًا، أو مقومًا لحقيقة الأفكار، وبدا يستخدم وإن كان ذلك قليلاً قدر من الحجج البنائية أو التركيبية، إلا أنها غالبًا ما اتخذت الطبيعة الدفاعية ورد الشبهات كما يبين ذلك من هدف النص والمؤلف.

وضمن هذه التعقيبات التي رتبناها على عملية التحليل الحجاجي للنص يحسن كذلك الربط بين هذا النسق الحججي وما يمكن تسميته بشبكة الإسنادات المرجعية، والتي ارتأت في المقام الأول أن يكون أصل الحجة من جنس الشبهة وما أدته أصول الشبهة المرجعية في تحقيق عملية إسناد وإسنادات غاية في الأهمية "القرآن والسُّنة والسيرة النبوية" مصادر مرجعية، مناهج التفسير والتأويل، المصادر المرجعية المساندة والخادمة (اللغة، التاريخ، الشعر، النصوص الفقهية كتابات الاجتهادات المعاصرة، النماذج التاريخية ..إلخ)، هذه الممارسة الشبكية مورست على تفاوت في الإسناد والاستناد، على ما رأى مؤلف النص مما يحسن إثباته، فضلاً عما أحدثه من تناص (لنصوصه) مؤلفاته السابقة وركب بينهما في محاولة بناء رؤية متكاملة للنموذج الوسطي للتحرير الإسلامي للمرأة كما أراد بيانه وتبيينه.

وارتبط بكل ذلك –في نهاية هذه الملاحظات- طرائقه ومنهجه في عملية أداء الحجة وصياغتها وتحقيق هدف الإقناع بها فاستخدم (عناصر التكامل الحججي وتكامل الحجج، المنهاجية الدفاعية ورد الشبهات، تحديد خريطة الاهتمامات بقضية المرأة خاصة قضايا الشبهات، الحجج الأصلية والفرعية، محاولات الإقناع الرقمي واستخدام بعض المؤشرات العامة، أسلوب اللقطات والنماذج التاريخية، أسلوب الاسترجاع والاستدعاء، عمليات يطول بنا المقام لو أثبتنا بعض ما يؤيدها.

(حـ) التحليل السياقي للنص-

التحليل السياقي للنص عملية تتعلق بالوسط المتعلق بالنص، والوسط هنا معنى واسع ومركب يشتمل على معنى السياق، الذي يتبعه في الاتساع والامتداد، منه ما يتعلق بالمؤلف وسياقاته النفسية والمعرفية والثقافية والحضارية ومنها ما يتعلق بالنص وتتابعاته ومكوناته (مقدماته وتركيباته ومنهجه وعباراته) أي بمعنى السياقات الداخلية للنص، ومنها كذلك ما يتعلق ببيئة النص الخارجية والوسط التاريخي والحالة الحضارية التي يتحرك فيها (من زمان ومكان وبشر وأحوال)، من ظروف اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية وفكرية وبالجملة حضارية، ومن هنا يحسن الربط بين هذه القراءة السياقية وتحليل النص كعملية اتصالية، وربط قراءة النص كعملية اتصالية بدورها بالهدف من النص، كما أن عالم أشخاص النص المباشر وغير المباشر ليس بعيدًا عن هذا التحليل السياقي، أكثر من هذا وقبل كل تلك السياقات هناك سياقات تتعلق بالأطر المرجعية...

إذ أن إنتاج النص يتحرك ضمن أطر فكرية عامة، وجماعة متلقية تعد مستهدفة بخطابه.

ضرورات الرؤية السياقية للنص موضع التحليل تفرض اتساع مستويات هذه الرؤية التي تتكون من:

(1) المستوى السياقي داخل بنية النص والبناء المنهجي الكامن في النص وخلفه.

(2) المستوى السياقي المتعلق بوسط النص المحيط به، إن بيئة النص والأجواء المحيطة به والتعرف عليهما وتأثيرًهما عملية مهمة.

(3) المستوى السياقي المتعلق بالسيرة الذاتية لكاتب النص، مؤلف النص لم يمت بمجرد انفصال النص عنه، إنه عمد النصوص الحضارية ترتبط بالكاتب وعصره ومنظومة أفكاره وتمتد في التأثير والإسهام مع قصدها للأمة والتي تعطي لخطاب الكاتب البقاء والاستمرارية.

(4) والمستوى السياقي للنص يتعلق بتصوره كرسالة اتصالية لا يمكن فهمها إلا في سياق عناصرها المختلفة والمتنوعة والمتفاعلة. يقع على رأسها "المخاطب بالنص" سواء تحدد بشكل مباشر أو لم يتحدد، وقد يشار إليه بشكل غير مباشر، أو من الممكن استنباط أنواع من المخاطبين وفق قواعد منهجية تدل على ذلك من توجهات ووجهات وموجهات الخطاب. ويرتبط بذلك الهدف من النص الذي يحدده الكاتب والذي لا يبتعد كثيرًا عن معاني التحليل السياقي.

(5) بل قد يكون من المهم الإشارة إلى عناصر سياق خامته بالمؤلف حينما يمثل حالة فكرية من مثل "ظاهرة النماذج الفكرية المتحولة".

هذه المستويات جميعًا تتكامل في تحليل السياقات المختلفة، وبالضرورة سيكون لها تأثيراتها المهمة في فهم النص وتحليله.

من المهم في التحليل السياقي لنص د. محمد عمارة أن نتعرف على نشأته الدينية وممارسته السياسية وتعلمه بالأزهر الشريف وتخرجه في دار العلوم، وممارسته الكتابة حول القضايا الوطنية، وكذلك من المهم في هذا السياق أن نشير إلى "التحولات والتطورات" التي طرأت على نسقه الفكري من اهتمامه بالفكر القومي والتراث والفكر الاشتراكي حيث رفدت كل هذه المصادر اتجاهه الوطني وكان اطلاعه على التراث حاضرًا في كل مراحله الفكرية إلا أن ما اختلف لديه هو منهج التعامل والتناول لتلك المعلومات التراثية التي توفرت لديه وشكلت مخزونًا فكريًا، وجعل مشروعه الفكري متمثلاً في دراسة الفكر العربي والإسلامي فيما أُسمي فكر أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة، وأعلام التجديد الإسلامي، وكذا أعلام الصحابة وكذا أعلام التراث؛ فاهتم بأعمالهم الكاملة أو الترجمة لهم في كتابات تحليلية مهمة، وتناولت كتبه التي تجاوزت المئة والخمسين "السمات المميزة للحضارة الإسلامية والمشروع الحضاري الإسلامي، والمواجهة مع الحضارات الغازية والمعادية، وتيارات العلمنة والتغريب وصفحات العدل الاجتماعي الإسلامي وكذلك العقلانية الإسلامية.

وبدت تطوراته الفكرية ما بين "الفكرة الاشتراكية" و"الفكرة القومية" و"الفكرة الإسلامية" وتنوعت كتاباته في هذا المقام إلا أنها في غالب أمرها تعلقت بالتراث أو فكر اليقظة، وتعلق بثابت مهم كذلك يتعلق بالاستقلال الحضاري، إلا أن خطابه تطور بشكل مهم مستخدمًا مفردات الفكر الإسلامي بينما توارت المفردات الاشتراكية أو القومية إلى حد كبير، وإن ترجمت الفكرة الاشتراكية إلى فكرة العدل الاجتماعي، وترجمت الفكرة القومية إلى الاستقلال الحضاري، وبدت مؤلفاته تهتم بالقضايا الإسلامية التي طرحت مع الصحوة الإسلامية، وتصدى لها وتصدر فيها.

ومع نهاية الثمانينيات وطيلة التسعينيات وحتى الآن بدت كتاباته تتخذ منحى واضحًا في الرؤية الإسلامية واستخدام المفردات الإسلامية دون غيرها، وبدا يقدم نفسه ضمن تيارًا وسطيًا إسلاميًا في الفكر والثقافة والحضارة.

هذه الرحلة الفكرية حملت تطورات وتحولات مهمة. ومن ثم فإنه ضمن رؤية للمرأة يجب النظر إلى مقدماته للأعمال الكاملة "لمحمد عبده" و"قاسم أمين" بحسبان خامته طبعاتها الأولى، كما يجب التوقف عند كتاباته حول قاسم أمين: تحرير المرأة والتمدن الإسلامي والذي نشر في العام 1985 أما كتابيه المتأخرين (الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده) وكذا (كتاب التحرير الإسلامي للمرأة: الرد على شبهات الغلاة) والذي نشر في العام 2002، ومع تعدد الطبعات لبعض الكتابات مثل الإسلام والمستقبل سنرى تفاوتًا في بعض الأفكار، إلا أنه في واقع الأمر قد يصعب على البعض تنسيب أفكاره للزمن الذي صورت فيه خامته في مثل تلك النماذج الفكرية التي طالها التحول.

هذه عناصر مهمة تعود إلى سياق المؤلف والوسط الذي أحاط بجملة تأليفاته، تشير إلى واحدة من الظواهر الفكرية وآثارها المهمة على قضية التناول المنهجي، في تحليل النصوص.

يصل الأمر في هذا المقام أي عمارة تقصد عند التأليف أو التحليل أو الكتابة عن بعض مؤلفاته أو أفكاره أو رصد بعض التطورات التي طالت رؤاه أو مواقفه وتبلورها في سياق علو وهيمنة المرجعية الإسلامية عما عداها من مصادر مرجعية لأفكار سبقت شكلت جزءًا من تكوينه الفكري والثقافي والسياسي.

وفي هذا المقام تعد واحدة من الشواهد الدالة في هذا المقام احتفاء اليسار العربي وكذا بعض القوميين والعلمانيين بكتاباته في بادئ الأمر، ثم اتهامه من بعض هؤلاء "بالردة"، هكذا قد يسمي البعض هذه التحولات الفكرية "بالردة" ومن العجيب حقًا أن يُستخدم هذا اللفظ المحمّل بدلالات دينية ليطلق على هذه الظاهرة، ولكنه هذا حال الحالة السجالية التي سيطرت ولا تزال على توجهات واتجاهات الفكر العربي.

ولا شك أن أحد مؤشرات ذلك التحول الفكري يرجع إلى احتفائه بقاسم أمين من قبل في مؤلفه عن "تحرير المرأة والتمدن الإسلامي"، وغياب الإشارة إلى قاسم أمين من أي طريق في كتابه عن "التحرير الإسلامي للمرأة". وهو ما يمكن الإشارة إليه عند الحديث عن المسكوي عنه، وضمن هذه الرؤية للتحليل السياقي؛ فإنه لا يمكن أن نغفل سياق المرجعية وما يتفرع عنها من جماعة مرجعية شكلت جماعة الجديدة بعد تحوله، وهي ما

تشكل أعمدة مهمة في التيار الوسطي السابق الإشارة إليه، يشهد لذلك تأليفه لكتاب حول الشيخ الغزالي، وكذلك الشيخ القرضاوي، واختياره لنماذج سابقة يعدها هو من إرهاصات ذلك النموذج الوسطي مثل السنهوري.

وضمن هذا السياق يمكن أن يشكل اجتهاد الدكتور محمد سليم العوا ضمن تأصيلات هذا التيار الوسطي خامته حول قضية المرأة في كتاب نشرته دار الوفاء، وفي كتاب آخر ضمنه معظم أفكاره "الفقه الإسلامي في طريق التجديد" في طبعته الأولى والثانية.

وضمن هذا التحليل السياقي في مستوياته المختلفة يأتي ليكمل عناصر الجماعة المرجعية وأفكاره وأنساقه المعرفية في سياق التعرف على عالم أشخاص النص، وكذلك تلك المحاولة لمعالجة النص كرسالة اتصالية متعددة العناصر تتم فيما بينها دورة اتصالية وتواصلية، يترافق معها الهدف من النص موضع التحليل والذي يشكل مؤشرًا مهمًا ضمن تبنيه لأصول مرجعية تشير إلى النموذج الوسطي أو الفكر الوسطي أو التيار الوسطي.

وقبل هذا كله من المهم أن نشير إلى ظاهرة التحولات الفكرية التي شهدتها خريطة الفكر العربي مع توالي أزماته، وهو أمر جدير بالبحث والتقصي.

ظاهرة التحول الفكري وإمكانات التحليل السياقي: ضرورات الوعي المنهجي:

برزت في حياتنا الثقافية والفكرية ظاهرة تستحق التأمل والرصد والتحليل والتفسير والتقويم، ألا وهي ظاهرة التحولات الفكرية بين اتجاهات التصنيف المختلفة التي استقر عليها العرف الثقافي العربي. وهذه الظاهرة لم تلق الاهتمام الكافي على رغم أهميتها، مع أن النماذج التي تمثلها في ازدياد مستمر يلفت الانتباه ويستفز النظر العلمي.

يبد أن الخطاب حول هذه الظاهرة ظل يخلد إلى المنهج السجالي ويركن إلى الطريق القتالية والاقتتالية، في ظل فتن شهدتها المنطقة العربية (نكسة يونيو 1967)، ونكبات أخرى حروب الخليج الثلاث، تسويات السلام مع إسرائيل .. كل ذلك جعل كثير من المفكرين العرب يراجعون موقفهم وأفكارهم وطرائق تفكيرهم ومناهج نظرهم.

وهنا اختلطت ظواهر التحول في ظل حالة من (الأدلجة)، فرفاق الأمس في الفكرة أصبحوا خصوم اليوم، وصل الأمر إلى حد الاقتتال في لغة اتهامية واضحة وعالية النبرة، فهذا اتهام بالانتهازية الفكرية، أو تنويه إلى من يأكلون على كل الموائد الفكرية، وهذا المفكر يلبس لكل زمن لبوسه ويتدثر بالأفكار ويغيرها كما يغير الثياب، وهذا اهتدى من بعد كفر وآمن من بعد ضلال، وهذا ارتد على الفكر المستنير.. وهذه توبات فكرية أتت على بعض ألسنة المفكرين وبعضهم لم يتب، وغاية الأمر فقد تحرك السجال ضمن المعايرة والاتهام، ودخلت هذه الظاهرة الفكرية إلى سوق المزايدات والحالة السجالية من أوسع الأبواب، واختلطت ظواهر التحول الأصيل في البحث عن الجامع الحضاري الذي لايفرق والتيار الأساسي الواجب أن يؤسس وبين ظواهر تحول باسم "الواقعية"، والتي لم تكن إلا وقوعًا في براثن ذلك الواقع مهما كان مهينًا وظالمًا. فاختلط التحول الأصيل الناهض بالتحول التابع الناكص. فبين متحول إلى الكتلة الحضارية الأساسية، وبين متحول لوقوعيته. هذه الظاهرة يمكن أن تترك آثارًا منهجية فيما نحن فيه بصدد التحليل السياقي:

الأول- ضرورة متابعة تطور الأفكار وتحولها ومسيرتها وسيرورتها لدى نفس الكاتب.

الثاني- ضرورة متابعة المفردات والمفاهيم المستخدمة والتحول الحادث في دائرتها.
الثالث- ضرورة اكتشاف مناهج النظر والتعامل والتناول والتطور الذي أصابها في المؤلفات المختلفة.
الرابع- ضرورة تنسيب الأفكار إلى زمنها، حتى لا يصيب الباحث خلل في الاستنتاج أو التعميم.
الخامس- ملاحظة تبدل السياقات المرجعية سواء تعلق ذلك بـ:
شبكة الإسنادات المرجعية – تحولات الجماعة المرجعية- تحولات المرجعية ذاتها.
ضمن هذا السياق يمكن اعتبار البحث في عالم أشخاص النص مؤشرات مهما في البحث والتحليل السياقي، واتخاذها مؤشرًا على عملية التحول الفكري.
د. عمارة يمثل نموذجًا مهما في هذا المقام ونحن بصدد تحليل واحد من آخر كتبه حول قضية المرأة.

عالم أشخاص النص والتحليل السياقي:

من المهم في سياق الأطر المنهاجية لعملية تحليل النص أن نتعرض إلى عالم أشخاص النص المقصود بالتحليل، عالم أشخاص النص وورودها بالنص بالنسبة لأي كاتب ليست عملية تحدث مصادفة، ولكنها إشارة مقصودة تشير إلى أكثر من مستوى في نص عمارة يمكننا ملاحظة هذا العالم على أكثر من مستوى:-

عالم أشخاص النص

خريطة يمكن ملاحظة
تحرير الإسلامي للمرأة

عمارة في استقاء
رأ الكتاب حتى لو

كانت قراءة خاطفة، وهو أمر يجد مسوغاته في الجمع بين التنظير والتطبيق والذي تبناه عمارة في إبراز موقفه من قضية المرأة.

وضمن هذه النماذج المرجعية، كانت نماذج الأسوة والقدوة في عملية التحرير، وهو أمر حدا بعمارة أن يقدم ليست ترجمة لكل نموذج وإنما ما حمله وأداه وأبرزه من "أفكار" فهو في هذا المقام يحول "الأشخاص" إلى "أفكار" تسند موقفه من نماذج التحرير الإسلامي للمرأة، أم من عالم الأشخاص الذي ورد في استهلاله فإنما يشير إلى واحد من شيوخه "الشيخ –الشاعر" بما يدل فيما يريد من إشارة إلى استنارته، وكذلك أشار إلى انخراطه في العمل السياسي العام في حزب مصر الفتاة (كنت أشتغل بالسياسة- بالحزب الاشتراكي- مصر الفتاة.." وهي إشارة إلى بعض من تطور مسيرته الفكرية ومرجعيته ومجالات حركته الفكرية والثقافية، وكذلك يشير إلى الأزهر.. لم أكن "أزهريًا تقليديًا" كحال الكثيرين من طلاب الأزهر وشيوخه في ذلك التاريخ..." وهو يشير إلى نماذج نسائية سلبية واحدة هي "زعيمة" حزب بنت النيل ".. وكانت المفاجأة "بتهيئة" الزعيمة، وأخرى "الزعيمة الأديبة" التي كتبت عن "الصفعة" التي صفعتها لزوجها النموذج الذي ترشحه هذه الأجهزة الغربية لجائزة نوبل.."، أما عن شخصية التي لم ترد في عالم شخصياته في موضوع المرأة مثل قاسم أمين والذي ألف عنه كتابًا سابقًا عن تحرر المرأة، فإن التساؤل **عند عدم إيرادها** قد تفصل فيه في الحديث عن المسكوت عنه في نص عمارة. كما يعد دراسة عالم أشخاص النص موضع التحليل كاشفًا عن سياق يعبر عن نقاط مهمة في تشكيل مساره الفكري وتطوره.

النص كرسالة اتصالية: والإسهام في التحليل السياقي للنص

في إطار اعتبار النص كرسالة اتصالية وتواصلية في آن، يمكن الإشارة إلى نموذج وضعه رومان جاكبسون لأركان هذه العملية يتعلق بالرسل والمتلقي أو المستقبل بينما يتوسطهما (السياق والرسالة، وقناة الاتصال، والشفرة. وضمن هذه الرؤية يمكن تطوير هذا التصور في الشكل التالي:

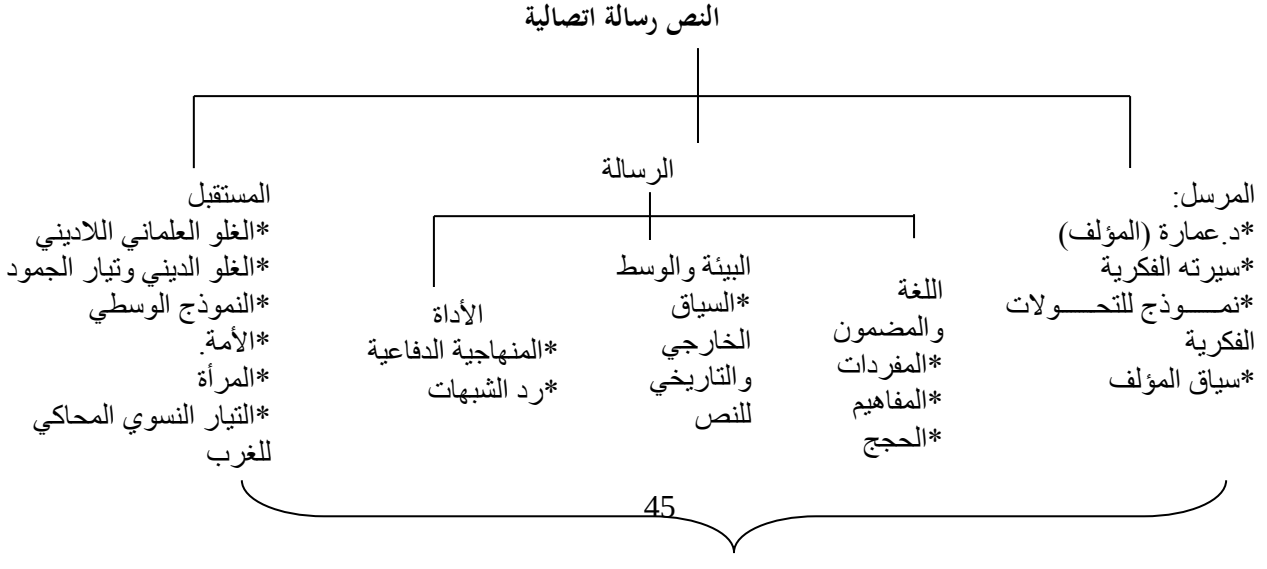

الهدف من النص والرسالة الاتصالية

النص كرسالة اتصالية يحمل عناصر السياق جميعًا:

*سياق المؤلف

*والسياق المحيط بالرسالة

*وسياق النص

* وسياق المرجعية

كما أن النص يحدد جمهور خطابه وذلك من خلال سياق كتابه وتأليفه، وتأثيرات الوسط المحيط به في تحديد جمهور خطابه (المستقبل)، كما أن الهدف يحدد سياقات جمهور الخطاب كذلك.

النص في كل تضميناته وباعتباره نصًا حضاريًا يحمل رسالة اتصالية هادفة إلى تحقيق دائرة الاتصال والتواصل لا يمكن أن ينفصل عن سياق القراءة العالمة بكل مكوناتها وعناصرها.

ضمن هذه الرؤية الاتصالية يمكن تحديد الهدف من النص كرسالة اتصالية يحدد فيه كيفية بلوغ الهدف الذي يتعلق بالتحرير الإسلامي للمرأة:

الهدف من النص والرسالة الاتصالية وتحليل السياق

رسالة العقل المسلم هي حماية المجتمع المسلم

↓

من الوقوع في براثن ومستنقع التقليد

↓

تقليد الآخر الغربي الذي حذرنا منه الرسول (صلى الله عليه وسلم)

وتنبأ بظهور ومجئ هذا النموذج البائس للمقلدين

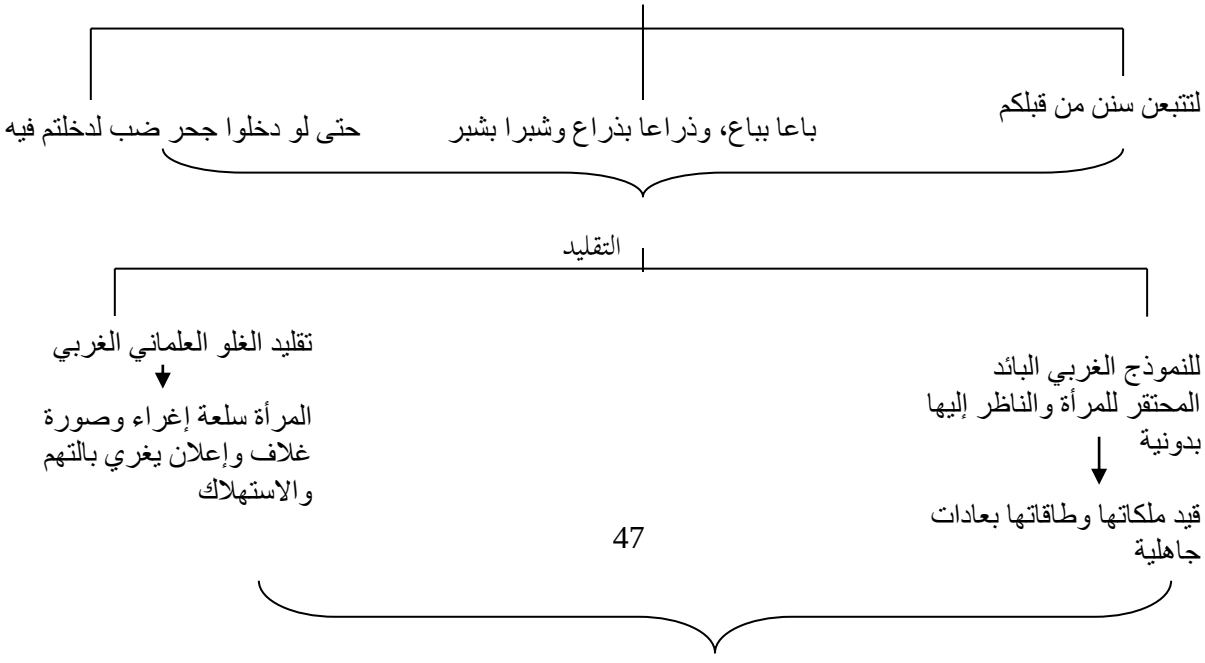

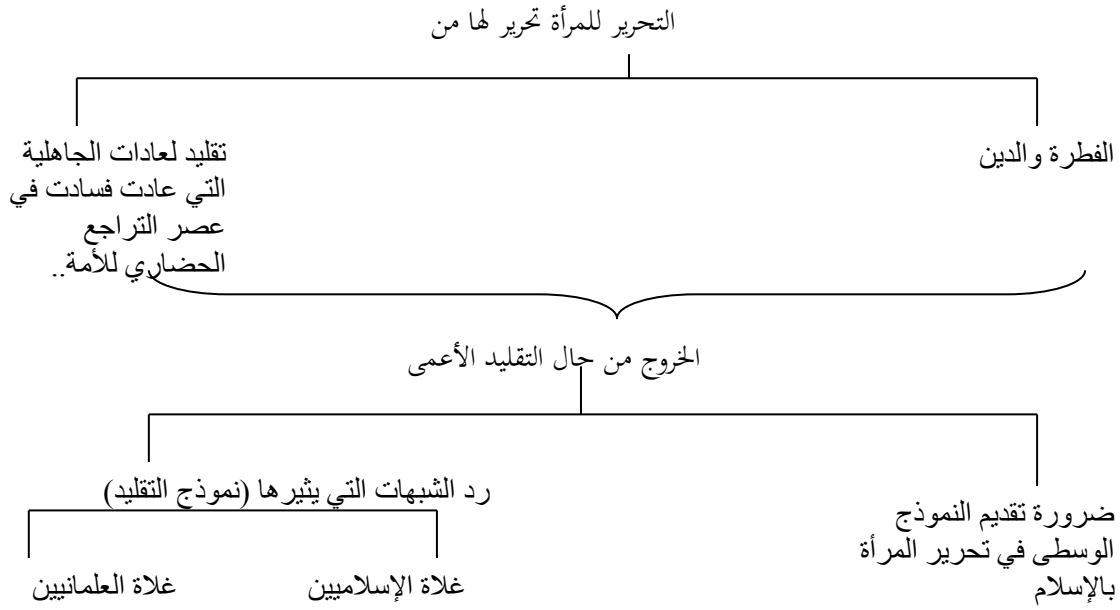

ضمن هذا السياق وتحديد الهدف ضمن الشكل السابق؛ فإن هذا يترك آثاره على عملية التحليل السياقي بما

تحدده من عناصر المخاطب المباشر وغير المباشر في هذا المقام لدى عمارة في النص موضع التحليل هناك أكثر من مخاطب:

1- تيار الغلو العلماني اللاديني الذي يستند للنموذج الغربي.

2- تيار الغلو الديني والجمود.

3- ضرورات تأسيس وبناء التيار الوسطي والنموذج الوسطي.

4- كما يعبر النص الحضاري عن فاعليته باستهداف مخاطب ثابت يتمثل في الأمة على مر أزمانها وفئاتها.

(ء-) التحليل المفاهيمي للنص (عالم أفكار النص)

في إطار التعرف على الخريطة الكلية للنص؛ فإن البناء المفهومي يقع في مرتبة مهمة ضمن هذه القراءة العالمة بالنص والتعرف على خريطته الكلية. المفاهيم في نص د.

عمارة "عائلة" ذات علائق ووشائج، أو شجرة ذات جذر وساق وفروع وثمر، وهي بهذا الاعتبار تشكل منظومة النص المفاهيمية، فهناك مفاهيم ذات دلالات منهجية تشير إلى عملية بناء النص، والأدوات المنهجية التي اعتمدها الكاتب أو نبّه إليها.. وهناك المفاهيم الكلية والفرعية والمفاهيم المفتاحية وكذلك مفاهيم الموقف والأهداف.

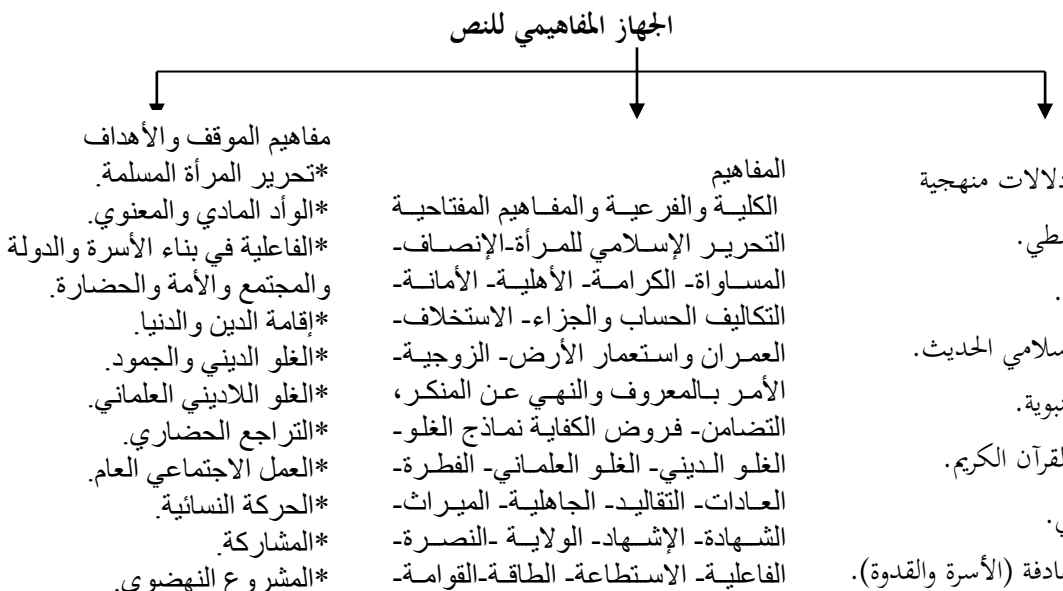

شجرة المفاهيم

من الجدير بالذكر أن منظومة المفاهيم الكلية والفرعية على تعدد مفرداتها لم يتوقف د. عمارة عندها أو عليها جميعًا بذات القدر من الاهتمام وبدا له ضمن النظر لها كعائلة مفاهيم أو أسرة يتحرك صوب مفاهيم الأصل التي يرتكز عليها ومفاهيم الوصل التي تولدت عنها، المفاهيم بهذا الاعتبار يمكن تصورها باعتبار أنها شجرة.

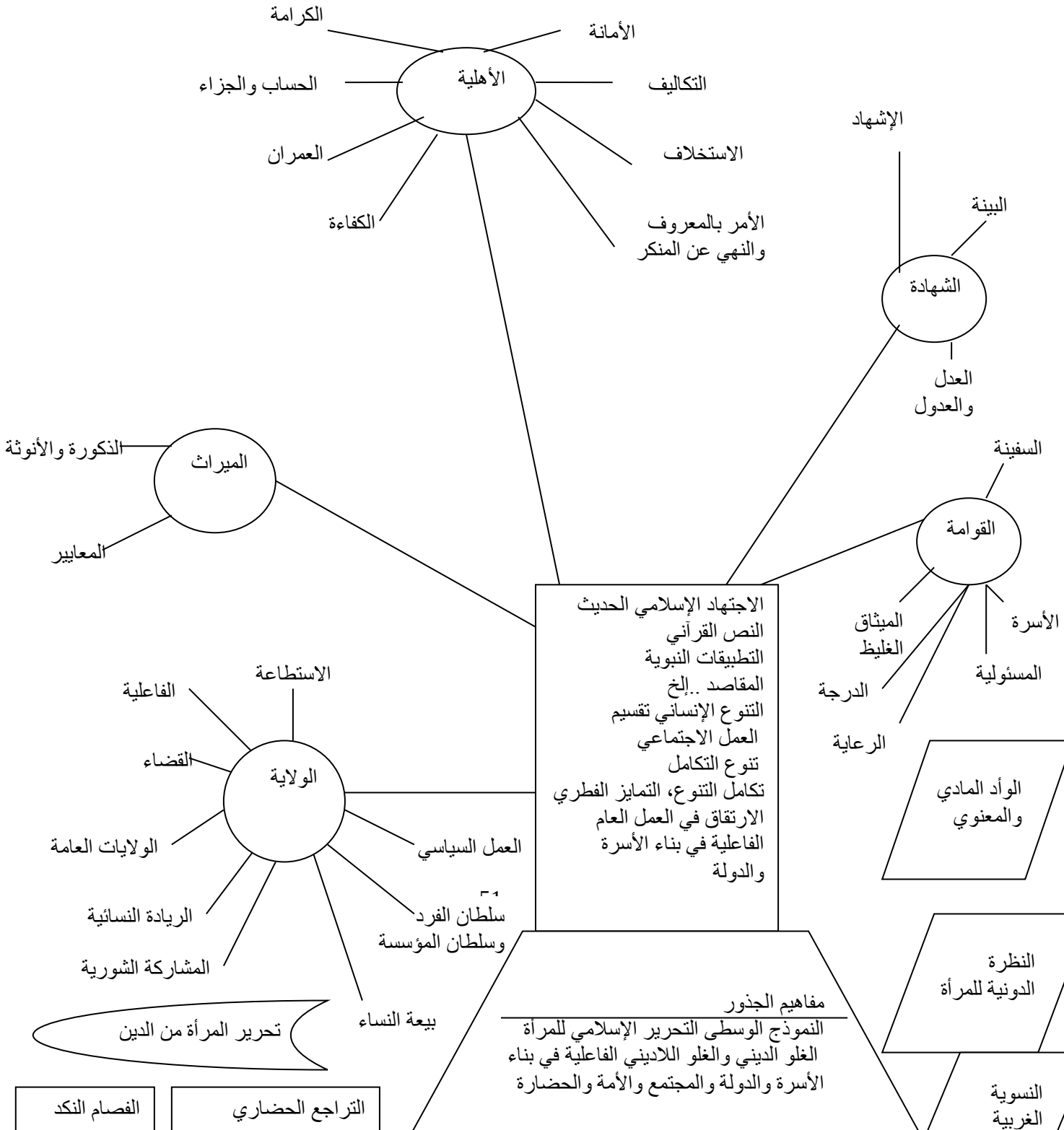

(هـ) العبارات المرجعية وتحليل النص

العبارات المرجعية هي التي تشكل مفاتيح النص من خلال مقولات أساسية، تعتبر المرجع بالنسبة لكاتب النص، هي أقرب ما تكون إلى الفروض الكلية التي يستند إليها، والمسلمات التأسيسية التي يؤسس عليها النص، والنص في مجمله في بعضه أو كله يكون شارحًا لها أو مفصلاً، وهي تتسم بكل عناصر التأكيد سواء بتكرارها داخل النص في أكثر من موضع، أو بالتأكيد على معانيها ومغازيها.

وهي –أي العبارات المرجعية- بمعنى آخر تشكل إطارًا المرجع لكاتب النص سواء مثلت له هذه العبارة مرجعًا فكريًا أو واقعيًا أو حكميًا أو موقفيًا، إجماليًا أو تصنيفيًا.. وهذه العبارات تقوم بجملة من الوظائف والأدوار من استكشاف موقف صاحب النص تجاه قضية بعينها، إنها وفق خرائط النص وتضاريسه، هي أعلى بقعة في النص يستطيع منها الكاتب والقارئ استكشاف الصورة العامة للنص في تضاريس الظاهرة، ومكوناته العميقة، وإمكانات النص الفاعلة.

ومن ثم فهي لا تقف عند حدود وظيفة الاستكشاف بل هي عبارة مدخل مهمة تحرك النص نحو وجهاته ومترتباته وعناصره وبنياته ومقاصده وأغراضه، ولذلك فهي عبارة مفتاحية تجعلنا ننفتح على كامل النص ومكوناته ومستوياته، وهي تحقق عناصر الاستكشاف والاستدعاء لبقية أفكار النص.

وهي بهذا الاعتبار عبارة أساسية إذا افتقدها النص فقد الشيء الكثير من معانيه ومغازيه، وهي تملك من الأوصاف فمنها ما يشكل مدار النص وبؤرته، ومنها ما يشكل وجهته وقيمته، ومنها التصنيفية والمقارنة والإجمالية والموقفية والحكمية والمقومة وغير ذلك كثير يمكن التعرف على كل ذلك من هذا الشكل:

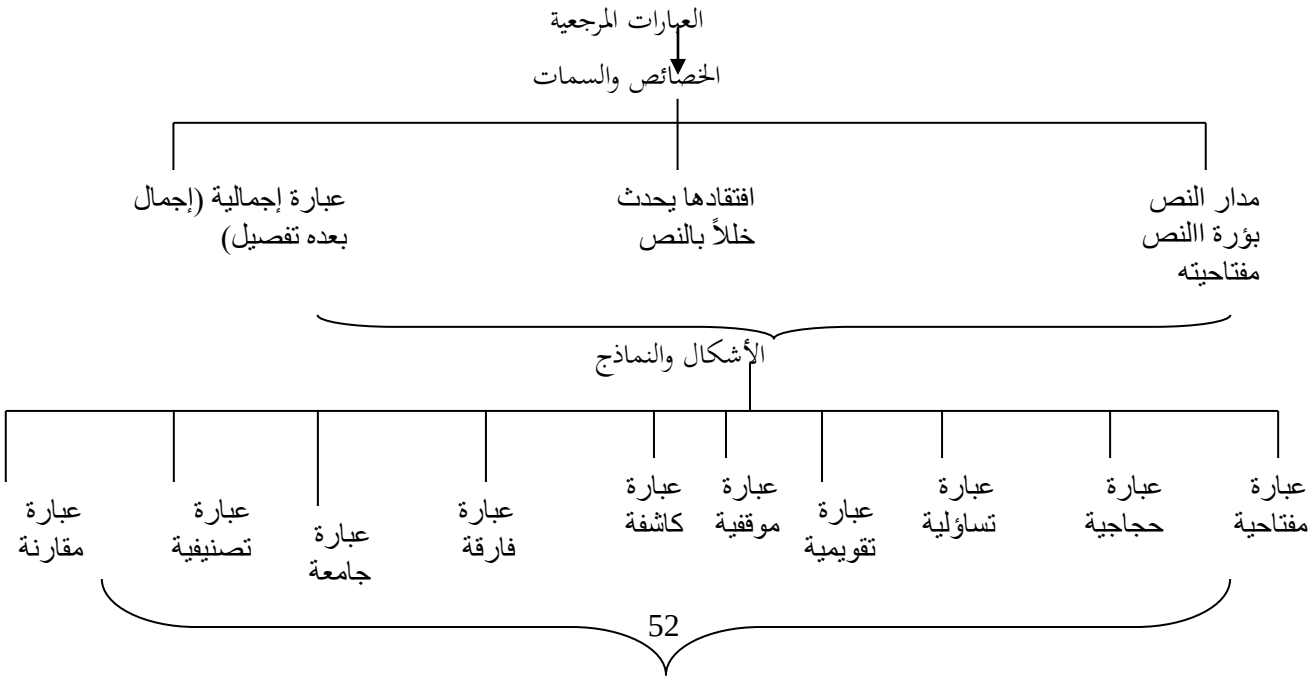

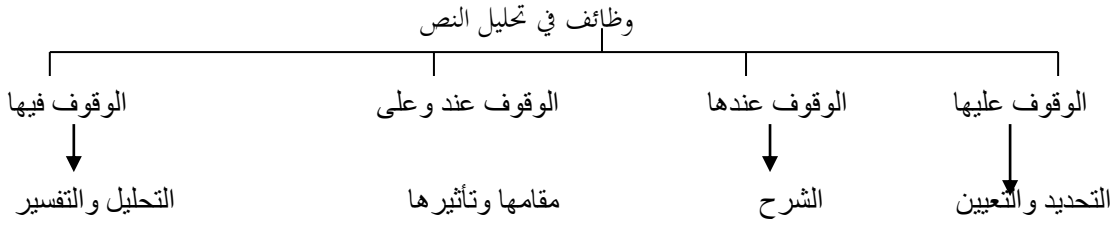
وظائف في تحليل النص
الوقوف عليها
الوقوف عندها
الوقوف عند وعلى
الوقوف فيها
التحديد والتعيين
الشرح
مقامها وتأثيرها
التحليل والتفسير

يمكننا الإشارة إلى العبارة المرجعية التي تشكل مدار النص وبؤرته، إنها تشكل النقطة المركزية في النص "التحرير الإسلامي للمرأة"، هذه العبارة تمثل جوهر الكتاب ومن ثم كان على الكاتب أن يضمنها العنوان باعتبارها واجهة النص، وهي محور لفصول الكتاب وأقسامه (مقدمته في شكل التمهيد الذي يحدد طبيعة هذا التحرير ومنطلقاته ومساراته ومقارنته بغيره، قسمه الأول يتحرك صوب "أهلية المرأة للمشاركة في العمل العام"، أما قسمه الثاني فيعالج "الشبهات التي تتعلق بالنموذج الإسلامي لتحرير المرأة.

العبارة المرجعية (المنطلق) "النموذج الوسطي" هذا التركيب يصف المنهج والطريقة التي يتوسلها الكاتب في الوصول إلى مقاصده الأساسية وأهدافه الكبرى التي حددها في الكتاب النموذج الوسطي (الخصائص والسمات، وطرائق وأساليب وأدوات) بغرض الوصول إلى تأصيل "التحرير الإسلامي للمرأة" في الوعي والسعي.

بينما تشكل تلك العبارة المرجعية "أننا أمام فصام نكد أفرز في حياتنا الاجتماعية - بخصوص قضية إنصاف المرأة وتحريرها– نماذج متعددة وأحيانًا متنافرة في هذا الميدان"، هذه العبارة تحاول توصيف الحالة الفكرية والسجالية بالنسبة لقضية المرأة. بينما تمثل العبارة "ضرورة تقديم النموذج الوسطي في تحرير المرأة بالإسلام"، عبارة مرجعية تشكل الداعي لتسويغ تقديم هذا النموذج وكذلك الرد على شبهات الغلو الديني والعلماني إنها العبارة المرجعية الداعي. بينما تشكل عبارات كثيرة فمن هذا النص عبارات مرجعية موقفية واستنتاجية في آن حرص الكاتب على إثباتها لبيان موقفه من قضايا متنوعة تتعلق بالقضية الأساس "قضية المرأة" من قبل "إن علو صوت هذا النموذج التغريبي، وتزايد غلوه في التبشير بهذه الدعوات المغالية في فجاجتها وفجورها إنما يزيد من رصيد الاتجاه التقليدي الجامد المتحصن بالراكد من العادات والتقاليد .." ومن هذا فقد رأى أن "الغلو الديني .. والغلو اللاديني وجهان لعملة واحدة، إنها عبارة مرجعية جامعة لصنفي الغلو على تباين فيما بينهما، وهو في إطار مقارن يورد عبارة مرجعية فارقة بين مرجعيتين ومسارين ونهجين ".. الحفاظ على فطرة التمايز بين الأنوثة والذكورة لتتم نعمة (وسنة) الزوجية .."، هذه العبارة الفارقة تلاها عبارة جامعة تؤكد أن التمايز لا ينفى ".. التضامن في فرائض العمل الاجتماعي العام .."، وضمن شبكة العبارات المرجعية تلك تبدو لنا تلك العبارة المرجعية الكاشفة والفارقة والموقفية والاستنتاجية الجامعة على تنوع صفاتها تلك لتشير إلى نتيجة أو تعميم ".. مساواة تكامل الشقين المتمايزين لا مساواة الندين المتماثلين والمتنافرين .."، وفي ذات السياق نشهد في النص عبارة مشابهة تعبر عن عبارة مرجعية موقفية ومقومة ".. تميز التكامل لا الأنداد والأضداد .." وهو في ذلك السياق الجامع يشير إلى عبارة مرجعية قاعدة ".. تنوع التكامل وتكامل التنوع .." وهي عبارة لافتة لاختلاف الإئتلاف المرتكز على اختلاف التنوع المفضي للتكامل، وكأنه يشير إلى سنة قائمة قاضية قد تغيب عن تصور البعض حينما يُعد كل اختلاف هو مفضي للصراع والتناقض والتضاد. إنه يشير إلى الفهم العميق لسنة الاختلاف.

وضمن هذه العبارات المرجعية الموقفية ما يؤكده الكاتب من أن ".. الآفاق واسعة وفسيحة وممتدة لأنها من المرأة بالإسلام وليس بتجاوز الإسلام .. كما يريد المتغربون من غلاة العلمانيين .." بل إن هذه العبارات المرجعية الموقفية قد تتجاوز المواقف الفكرية والثقافية العامة إلى مواقف منهجية يرتبط فيها المنهجي بالفكري بالحضاري فتقدم عبارة مرجعية فارقة وكاشفة ومقومة وناقدة وبانية تؤصل موقفًا منهجيًا (منهج النظر والتعامل والتناول) على تكامل فيما بين هذه المستويات جميعًا من مثل إشارة الكاتب إلى ضرورة ".. النفاذ إلى فقه النصوص التي تصورها البعض شبهات وعقبات على طريق تحرير المرأة وإنصافها ..".

وكذا فإنه على المستوى المنهجي ستشهد إحدى العبارات المرجعية التي تشير وبشكل واضح إلى ما يمكن تسميته بشبكة الإسنادات المرجعية حينما يتحدث عن ".. الإطار النظري .. وتطبيقات مجتمع النبوة .. ونماذج المشاركة .. والفكر الفقهي .." وضمن هذا الاعتبار يمكن الإشارة إلى عبارة مرجعية تشير إلى نماذج فكرية واقعية تاريخية ".. نماذج جسدت توعية بالتحرير الذي أنجزه الإسلام للمرأة منذ فجر البعثة .." لتعبر عن عبارة مرجعية عن إجمال سبقه استعراض تلك النماذج.

وضمن استعراض نماذج القدوة والصفوة يؤكد الكاتب في عبارة مرجعية حكمية تتضمن تعميمًا وتشير إلى عبارة حجية ".. أن التحرير الإسلامي دفع المرأة إلى مراكز الريادة والقيادة .. واحدة من بين كل ثمانية من الصفوة في أقل من ربع قرن من الزمان .. (تلك) تعد .. أعلى نسبة للرايادات النسائية في أي ثورة من ثورات التحرير أو نهضة من النهضات .."، وضمن العبارات المرجعية الموقفية والتعميمية والتي شكلت بذلك الاعتبار منطلقًا لتأسيس بناء حججي ".. مشاركة المرأة في العمل العام سائر ما تطيق وما تحس .." ".. فيم استطعتن وأطقتن .." و"المشاركة فيما هي أهل له وقادرة عليه من ميادين العمل العام .."، وضمن عبارة تقريرية جامعة للحقوق والواجبات مثلت عنصرًا مهمًا في صياغة ختام النص وقد سبق الإشارة إليها ضمن دراسة واجهة النص.

وهذه عبارة مرجعية مفتاحية يمكن أن يكتب فيها بحوثًا متعددة ".. الأمة هي الصورة الأكبر للأسرة .." "سفينة الأسرة .." و"المشاركة في العمل الاجتماعي العام .. يندرج تحت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .." وهي عبارة مرجعية تؤسس موقفًا وتسند الموقف في سياق حجة تأسيسية شرعية.

وهناك كذلك عبارات مرجعية تصنيفية (إجمال بعد تفصيل) "خمس شبهات حول النموذج الإسلامي لتحرير المرأة .." وتضمنت عملية الرد على الشبهات، عبارات موقفية وحجاجية يمكن الوقوف عليها ضمن التحليل الحججي الذي أفردنا له أحد مستويات التحليل الداخل في عناصر القراءة العالمة.

(و) المسكوت عنه وتحليل النص

تتميز النصوص ذات الطابع السياسي أو الثقافي بضرورة تضمنها للمسكوت عنه إلا نادرًا، وقد يعتبر المسكوت عنه في النص ما هو خفي بحيث إن إخفاءه يجعل من يقرأ

النص في حيرة عند تحليل النص وتفهم معانيه. غير أن البعض الذي يتحرك صوب دراسة "المسكوت عنه"، ربما بهذه الدعوى يحاول توسيع مساحة المسكوت عنه في النص، فالمسكوت عنه نسبة قول لقائل لم يقله، وهو بهذا المعنى قد يكون أحد المداخل التي تتزيا بثوب العلم "لتحميل النص" أكبر من طاقته في المعنى والمقصود وذلك وفق عناصر تقديرية وذوقية ووجدانية من القارئ للنص. بل قد يكون ذلك مدخلاً للتحميل الأيدلوجي للنص في إطار تلوين النصوص ضمن عملية تأويل نظن أنها قد تستخدم هذه الآلية وتسيء استعمالها ضمن تحليلها للنصوص.

.. وربما المسكوت عنه يفترض عدة تساؤلات والإجابة عليها ضمن المعلومات المتوافرة ضمن صياغة منهجية لا تعتسف أو ترتكب أياً من المسالك التي تؤدي إلى تشويه النص لا تحليله؟!، وأهم هذه التساؤلات ماذا؟، متى؟، أين؟، لماذا؟، كيف؟، وتنظم التساؤلات والإجابة عنها ضمن النص ومقولاته ضمن عملية استدلال منضبطة عن المسكوت عنه.

عملية ضبط المسكوت عنه منهجيًا ليس هذا البحث مقامها أو موضع التفصيل فيها، ومن ثم يحسن إفراد دراسة مستقلة ضمن عمليات تحليل النص "للمسكوت عنه" أشكالاً وأنساقًا وضوابط أما عن تفعيل آلية المسكوت عنه ضمن قراءة وتحليل النص موضع الدراسة فإنه يحمل ثلاث ملاحظات على الأقل:

الأولى أن نهج الكتاب فرض ألا تتسع دائرة المسكوت عنه، إن غاية الكتاب الأساسية كما يرد في العنوان الفرعي للكتاب (رد شبهات الغلاة) والرد على الشبهة لا يحتمل المسكوت عنه، لأنه نهج يقوم على إزالة الشبهة ومحاولة تفنيدها واستقصاء الحجج والحجج المضادة، واستقصاء الأدلة ونظمها بما يبدد الشبهة وتأثيراتها على التفكير أو بناء الرؤية، ومن ثم لا حجة للمسكوت عنه في هذا المقام.

الثانية تتعلق بالاستهلال للكتاب والمسكوت عنه، كما أكدنا من قبل فإن استهلال المؤلف كان بقصة واقعية وحادثة مرت بالمؤلف، هذه القصة حملت بعض الإشارات من طرف خفي أو دلالات التضمين فيما يريد أن يوضح فيه المؤلف هدفه من الكتاب فهو يتحدث عن "زعيمة حزب بنت النيل"، ويتحدث عن "الزعيمة الأديبة"، فإنه يتحدث عما يمكن أن تنتجه الحركة النسوية الهادفة إلى تحرير المرأة في سياق النموذج الغربي أو محاكاته.

الثالثة تتعلق بهذا الكتاب موضع التحليل الذي لم يرد فيه حتى اسم "قاسم أمين" على الرغم من قيام المؤلف نفسه بتأليف مبكر عن قاسم أمين وتحرير المرأة .. هذا قد يوحي إلينا بالتساؤل لماذا سكت عمارة في كتابه الأخير عن التحرير الإسلامي للمرأة عند قاسم أمين؟!، يبدو لنا أن عمارة أراد أن يشير ومن طرف خفي إلى أفكار قاسم أمين التي أسهمت في تطور الحركة النسوية على النمط الغربي، يساند هذا الأمر الحكاية التي استهل بها كتابه الأخير.

(2) القراءة الجامعة والمقارنة للنص
مقترحات في ظل القراءة الإيجابية البانية

هنـاك مـداخل عـدة للقـراءة الجامعـة وأشـكال متنوعـة للتعبيـر عنهـا؛ فمنهـا القـراءة المقارنة، ومنها القراءة المتراكمة للنص والقضية المتعلقة بها (آلية الاستدعاء .. والنص المغناطيسي)، ومنها القراءة الجامعة للمفكر ونصوصه المتعددة (النص الجامع – جامع النص – سيرة الأفكار)، خاصة حينما يكون المفكر له رؤية فكرية واحدة في الأصل متنوعة الأداء والأشكال، وقد يحدث ذلك في أطر القراءة المقارنة الداخلية بين أفكار لذات المؤلف وأخرى تحول إليها، ومنها قراءة يدفع إليها مقتضيات عملية "التناص"، ومنها القراءة المفتوحة للنص لا المغلقة عليه أو المقتصرة على تصنيف عناصره، ويمكن تصنيف هذه القراءات الجامعة في الشكل التالي:

القراءة الجامعة

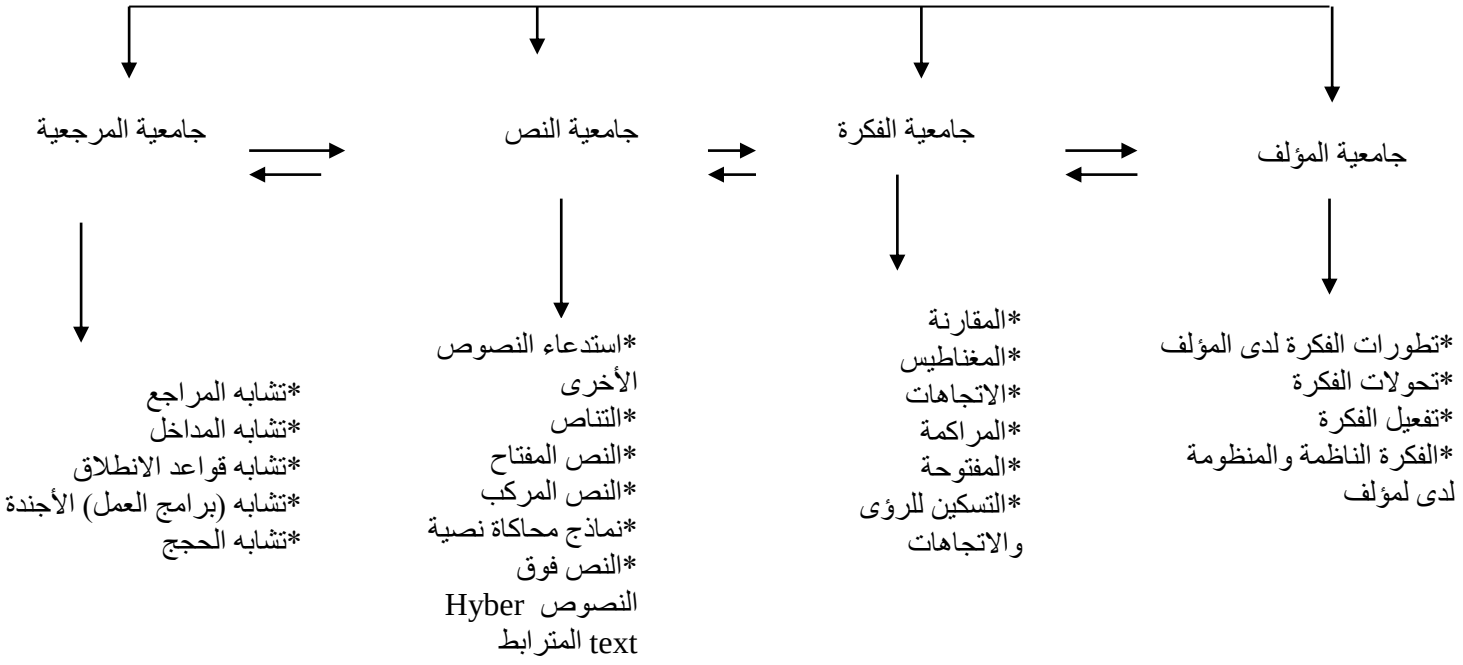

القراءة الجامعة كما حددناها كقراءة مكملة للقراءة العالمة لا تقف عند حدود النص موضع القراءة والتحليل ولكنها تمتد إلى أبعد من ذلك. هذا الامتداد ضمن القراءة الجامعة يتخذ أشكالاً وتجليات متنوعة بين جامعية المؤلف أو جامعية الفكرة أو القراءة المقارنة ..إلخ.

* أما عن جامعية المؤلف؛ فإن عمارة في تأليفه حول هذه القضية لا يعد النص موضع التحليل أول تعرضه لها بل سبقته محاولات تأليفية وفكرية عدة ارتبطت اثنتان منها بإثنين من المفكرين، أولهما قاسم أمين والثاني الإمام محمد عبده، أما المحاولة الثالثة فقد كانت ضمن كتاب الإسلام والمستقبل إلا أن النص موضع التحليل يعد آخر المحاولات وأكملها في تأصيل رؤيته (أي الكاتب) حول قضية المرأة، وسبقت إرهارصات هذه المحاولة في نقد النموذج الغربي لتحرير المرأة في دراسات مثل صراع القيم بين الغرب والإسلام، ومخاطر العولمة على الهوية الثقافية، وكذلك "مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية. نظم محاولات التأليف حول هذا الموضوع لدى عمارة يمكن أن يسهم في أكثر من مستوى من مستويات تحليل النص حول قضية المرأة:

تطورات الفكرة لدى المؤلف، تحولات الفكرة، تفعيل الفكرة، والفكرة الناظمة لمؤلفاته، ومحاولات ملاحظة عناصر الثبات والتغير في رؤيته. قضايا من الأهمية بمكان، والتعرف على السياقات الزمنية للتأليفات المختلفة، عمليات كما نظن ضرورتها نؤكد على منهجيتها وتأثيراتها في بناء الرؤية خاصة حينما نعلم أن د. عمارة من النماذج الفكرية التي أصابها التطور ضمن مسيرتها الفكرية، وربما قد يرى البعض أنها ضمن نماذج فكرية متحولة، وسواء كان عمارة هذا وذاك، فإن هذه النماذج جديرة بالبحث والتحليل في إطار قضايا بعينها، وهذه ربما تكون موضع دراسة تبحث في سيرة الأفكار ومسيرتها وسيرورتها، كذلك فإنه ضمن تطور نسق تأليفات عمارة يمكن اتخاذ نص "التحرير الإسلامي للمرأة والرد على شبهات الغلاة نصًا مفتاحيًا تستدعى بمناسبته النصوص الأخرى سواء للمؤلف أو لغيره. النص المغناطيس، أو النص التاج (الذي توّج رؤاه وتطورها حول المرأة).

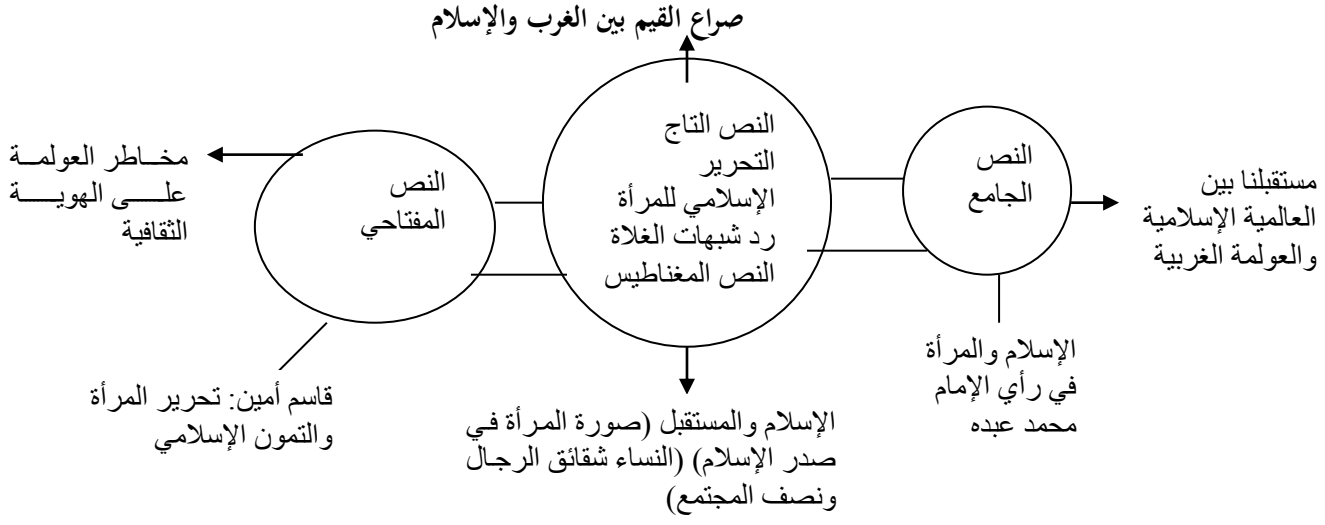

الكتابات المختلفة لعمارة التي تناولت قضية المرأة

* وفي إطار جامعية النص والتي تشير إلى "جامع النص" و"النص الجامع"، جامع النص يتمثل في الفكرة المتعلقة بالقضية المتعلقة بالمرأة وعملية تحريرها وإنصافها، أما النص الجامع فإنه يتمثل في هذه الدراسة "التحرير الإسلامي للمرأة" وبين جامع الفكرة والنص يمكن تفعيل آلية الاستدعاء في ذات القضية، وتصنيف الاتجاهات حول هذه القضية التي يعد ملفها من الملفات السجالية المفتوحة، فضلاً عن رؤية خريطة الاتجاهات المختلفة حول القضية موضع البحث. جامعية النص، جامعية الفكرة، استدعاء النصوص، التنامى، النص المفتاح، النص المركب، نص فوق النصوص .. كلها مداخل مهمة يمكن تفعليها بشأن القراءة الجامعة في مجال قضية المرأة.

* وضمن عناصر الجامعية يمكن القيام بدراسة في قراءة النماذج الفكرية ومقارنتها ضمن قراءة جامعة مقارنة، جامعية النماذج مدخل مهم يستدعي أصول المقارنة وعمليات التقويم (نموذج الشقاء، نموذج البلاء، نموذج الشقاء).

* وكذلك فإنه ضمن جامعية الفكرة (قضية المرأة) وتفعيل المقارنة المنهاجية بين الحضارات إنما يشير إلى إمكانات إجراء دراسات معمقة حول قضية المرأة والتحدي المعولم والذي يفرض بدوره ضرورة الاستجابات البنائية ضمن رؤية كلية متكاملة وتجاوز عناصر الرؤية الدفاعية.

* ويبدو كذلك من الأهمية بمكان الإشارة إلى الجامعية من خلال تفعيل أداة نرى أهميتها على قيامها على أسس افتراضية وهي بناء نماذج محاكاة تشكل عناصر امتداد الاجتهاد وتراكمها في بناء رؤية لقراءة جامعة:

ابن تيمية، ابن القيم، البشري، عمارة، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، الإمام محمد عبده، قاسم أمين، الشيخ محمود شلتوت، منى أبو الفضل" هذه بعض شخصيات مهمة يمكن نسج نموذج محاكاة بما يمثل رؤاها وافتراض حلقة نقاشية حول هذه الشخصيات التاريخي منها والتراثي، المعاصر منها والحديث.

* وضمن هذا السياق فإنه في الإمكان تطوير فكرة جامعية المرجعية وصياغات الاتجاه الوسطي (النموذج الوسطي) يمكن أن يمثل مفهومًا مفتاحيًا إلا على تيار متنامٍ يمكن أن يفرز عناصر قراءة جامعة تتغيا الربط، المقارنة، زوايا الاهتمام، قراءة التكامل والتكافل (قراءات التكميل).

هذه بعض نماذج القراءات الجامعة والمقارنة نذكرها كمقترحات دون القيام بجهد بحثي تطبيقي، ولكن غاية أمرنا أن نشير ضمن عناصر الرؤية البنائية الإيجابية إلى أنماط تلك القراءات الجامعة التي تسهم في تأصيل رؤية حول قضية المرأة.

(3) القراءة الفاعلة وتفعيل القراءة
مؤشرات لرؤية نقدية

إن أي قراءة لابد أن تكون قراءة هادفة، وهي بهذا يجب أن تتفاعل مع مرجعيتها ومع واقعها ومع الأغراض القاصدة لها، فإذا كانت القراءة العالمة تهدف إلى التعرف على

النص كينونةً ومكنونًا بنيةً وبيئةً، عناصر وسياقًا، فإن القراءة الجامعة تقصد تحقيق مستوى من مستويات فاعلية القراءة بالجمع بين نصوص أو مفكرين، الجامع بينها وبينهم والناظم لنماذج متنوعة منها هو القضية موضع البحث أو التحليل.

هاتان القراءتان (العالمة والجامعة) تعبر عن قراءات في سياق النص، أما القراءة الفاعلة فهي تتوجه بالنص إلى الواقع المعيش، أي أنها تعمل بصورة أو بأخرى خارج سياقات النص المباشرة، وهي نرى أن فاعلية النصوص والقراءة الفاعلة المرتبطة بها تكمن في أصالة أفكارها وقدرتها على أن ترتبط بالواقع المعاصر، وهي قراءة تستثمر مقدرات النص، وتعتبر منها، فتؤصل حقائق قراءتي الاستثمار (توظيفًا وتفعيلاً)، والاعتبار (تعلمًا من الواقع وتدبر وتدبيرًا فيه)، وأنه في المقابل يوجد النص الذي لا يملك فاعلية داخله، أو مدخل للقراءة يتمثل في قراءة الإهدار، إهدار النص رغم إمكانات فاعليته وتفعيله.

القراءة الفاعلة من الواجب تمييزها من وعن القراءتين العالمة والجامعة، إنها ترتبط برؤية القارئ وإعادة إنتاج مجددًا وتأثيراته في الواقع بكل عناصره، ولكن وهي مرتبطة برؤية القارئ يجب ألا تنفصل عن النص الأصلي، كما أنه من الواجب ألا تُحمّل النص أكثر من طاقته أو تتعسف باسم القراءة الفاعلة.

إن تفعيل القراءة (عالمة وجامعة ومقارنة) يعد مقدمة ومتطلب أساس للقراءة الفاعلة. القراءة الفاعلة وإن تعلقت بالنص، إلا أنها لا تركز على النص إلا بمقدار ارتباطه بالواقع الفكري والثقافي والحضاري بالأمة ونهوضها، ومن هنا فإنها قراءة في جانب القارئ ورؤيته أكثر من كونها في قلب النص. القراءة الفاعلة تدلي بدلوها في إشكاليات مزمنة أصابت الفكر العربي ومساراته وتوجهاته، ضمن هذا السياق يمكن أن نشير إلى أكثر من ملاحظة:

الأولى- الطبيعة السجالية للفكر العربي والبنية الدفاعية، تبدو هذه الطبيعة التي تجلت بعد استعمار معظم البلاد العربية وبروز سجال استمر طيلة قرن أو يزيد، بصدد حزمة من القضايا ضمن عقلية تجتر القضايا والمفردات والاتجاهات مع اختلاف فقط في القائمين بالسجال وفاعلياته ورغم أن هذه القضايا سُميت في بعض الكتب التي تؤرخ للفكر العربي "أسئلة النهضة" إلا أنها في غاية أمرها أنشأت أسئلة حول قضايا مع مراكمة السجال حولها صارت "مزمنة" تطل برأسها كل حين. هذا التصور لخريطة توجهات ومسارات الفكر العربي وقضاياه يحيلنا إلى ضرورة أمرين:

(1) القراءة المنهجية للفكر العربي وقضاياه: القراءة المنهجية لخطاب الفكر العربي من أهم أسباب تقديم الحلول للإشكالات التي ترتبط به، فالمنهج هنا كالعقد بين أطراف الرسالة الاتصالية، وأصول العقد تنفي كل ما يؤدى فيه من إكراه أو غش أو تدليس، وتقصى عناصر الانفعال والافتعال والإغفال والانفصال.

(2) البناء المنهجي للقضايا المزمنة، وتوظيف البنية الدفاعية ضمن بنية كلية بنائية وإيجابية تؤصل لمناهج النظر، ومناهج التعامل والتناول لها، الوقوف عند المنهاجية الدفاعية والتمحور حول قضاياها الجزئية (الشبهات والرد) أمر يجب

تجاوزه، ومن المهم التحديد الدقيق لمعركة الدفاع ومساحتها ووسائلها، الأمر الذي لا يجوز أن يستغرق جهودنا ويستنفذ طاقاتنا، فإن المواقف الدفاعية والاستمرار في مواقع الفكر الدفاعي لا تعني تقدمًا ولا بصارة بالأمور، ولا شمولية في الرؤية، وإنما تعني مرواحة في المكان الواحد ولو بذل كل الجهد وتعني عجزًا في تقدير الأمور ودراسة نتائجها، إنها (قد) تعني انفعالاً ولا تعني فعلاً، (قد) تعني إثارة ولا تعني ثورة تغييرية للواقع غير الإسلامي.. ومن ثم حسن التصرف واختيار الموقع الفاعل، وعدم استنزاف الطاقة والقدرة على التحكم. إن الاستمرار في حالة الدفاع يجعل الزمام في يد أعداء الإسلام والمسلمين، ويبقى التحكم بالمعركة في صالحهم زمانًا ومكانًا ومضمونًا فيكون الاستنزاف، ويكون الإنهاك، ويتحقق الاستهلاك، وقد يتقن "العدو" اللعبة فيحسن إثارة المشكلات في الوقت المناسب ويتحكم بمسار المسلمين الفكري والكتابي.

ويبدو لنا أن هذه الحالة الأخيرة التي ساهمت في الحالة الاجترارية والتكرارية فإلى متى نفتقد زمام المبادرة في الطرح، ويستمر الفكر العربي مسارات وتوجهات في معالجة ومواجهة ما يُطرح على الساحة، ونعجز عن الطرح؟!، وإلى أي مدى يجب أن تبلغ المعركة الدفاعية التي كثيرًا ما تكون مدخلاً لصرف المفكرين والمثقفين والعلماء عن معالجة قضايانا الأصلية في العملية التي تتعلق بالبناء الحضاري، يراوح هؤلاء في المكان، وينحصر الجهد في اجترار المعارك القديمة والدخول فيها بعد أن استنفدت جهدنا ولا تزال.

وقد يكون ما قدم إليها فيه الكفاية؛ فمن المفروض أن تكون تلك القضايا انتهت في شكل طرحها السابق، ولم يبق منها إلا القيمة التاريخية. وألا نستدرج إلى حال اصطناع وإثارة قضايا ومشكلات، وهم لا يزالون يبعثونها من مرقدها ليصرفوا الجهود أو يشغلون بقضايا جزئية ليمرر ما شاء هؤلاء من أمور كبرى تتعلق بأمن البلاد وحياة العباد.

وقد يكون من هدف هؤلاء، استلام زمام المبادهة، فيقذف الأمة بمجموعة من المشكلات والقضايا قد يحيط بها كثير من مناطق الافتعال، بما يحقق حال الانشغال الذي يستوعب فاعليتها ويستهلك جهدها ويتحكم بمساراتها العقلية ونشاطاتها الثقافية، أي أنه يسيطر على ساحة الفاعلية ويتحكم بعطائها مسبقًا، حالاً واستقبالاً. بل أكثر من ذلك الاستنزاف المستمر للطاقات الفكرية، والاستهلاك الدائم للنشاطات الذهنية لمجموع الأمة، بحيث لا يترك لها من الوقت ما هو كافٍ للنظر في مشكلاتها الحقيقية والقدرة على تصنيفها، ومن ثم صرف الجهود إلى معالجتها والتفرغ لها، بحيث إنها كلما حاولت الانتصار على شكله أو كادت، قُذف إليها بغيرها لتبدأ من جديد في مواجهة الخروق الجديدة، التي قد تكون موهومة في كثير من الأحيان.. تطرحها مراكز متخصصة لصناعة الاهتمامات على البلاد والمفكرين والمثقفين لإبقائهم جميعًا على الساحة الفكرية نفسها، يراوح فيها ولا يستطيع تجاوزها. إن إعادة النظر من حين لآخر بسلم المشكلات والقضايا وإعادة تصنيف هذه المشكلات وترتيب الأولويات حماية للجهد والطاقة في التفكير والتدبير.

الثانية- النقطة السابقة تحيلنا إلى مفاد هذه النقطة، كيف يمكن أن تتحرك فكرًا وسعيًا لبناء الرؤية الإيجابية الكلية في محاولة لتجاوز (الشبهات والردود) بما تفرضه من تناول تجزيئي، إلى تناول يتعلق بمناهج النظر التي يفرزها "المنظور الحضاري"، و"أصول الفقه الحضاري" ضمن بناء رؤية فاعلة وواعية، وعلينا أن نحسن بناء ومنظومة الأسئلة لنهضة الأمة، وتقديم الإجابات الحقيقية عليها. المنظور الحضاري منفتح غير تابع، نابع من رسالة إنسانية عالمية، يمثل في جوهره ضرورة تطوير هذا المنظور للإسهام في ترشيد الفكر الإنساني ومواجهة نزعات التطرف الفكري والحركي في قضية المرأة، سواء في الشرق أو في الغرب.

إن رؤية قضايا المرأة والعمل من أجلها وفقًا لمنظور حضاري إسلامي يجب أن ينطلق من الإسلام بأحكامه وقيمه وسننه وخبرات تاريخه إنما يقدم نموذجًا معرفيًا مهمًا وإطاراً مرجعيًا واضحًا.

هذه الرؤية تربط المستويات الأربع وفق منظومة من القيم تعرَّف وتحدد وضع المرأة ككيان إنساني واجتماعي في علاقة حميمة مع: الأمة والمجتمع والأسرة، ومع الآخر، تنفي هذه العلاقة المفهوم التجزيئي الإنسلاخى عند تشخيص مشاكل المرأة وتحديد سبيل العلاج.

إن الحديث من منظور حضاري لدراسات المرأة إنما يعبر عن الوعي بحقيقة الذات الحضارية وقدر التحديات التي يجب عليها أن تواجهها وأن تضطلع بالجهود اللازم استنفادها من أجل الربط بين القيم المعنوية والمادية، وبين الذاكرة التاريخية والواقع، وانصافًا للمرأة من ناحية وحماية للأسرة والمجتمع من ناحية أخرى، كوحدات فاعلة وأساسية في نهضة الأمة. من هنا استند المنظور الحضاري إلى عبارة مفتاحية "الأم والأمة صنوان بينهما وثاق يشد الأصل إلى الفرع، وعلى منواله تنسج العمارة، التي هي الحضارة".

الثالثة- وضمن معمار هذه الملاحظات تأتي ملاحظة تتولد عن سابقتها في ضرورة توليد آليات وأدوات ومداخل للتعامل مع قضية المرأة، يحفظ على المرأة أن تكون غير مقطوعة أو ممنوعة، لا مقطوعة عن مجتمعها وأمتها ولا ممنوعة عنهما بفاعليتها وطاقاتها، وتخرج المرأة من حشرها بين مطرقة وضعها المتدني في عالم المسلمين ضمن حالة تدين؟ عامة، وسندان فتنتها إلى نموذج تحريري غربي ظاهره الرحمة وباطنه العذاب، إن تمكين المرأة يتم عبر تمكين الأسرة، وتمكين المواطنة في الدولة والمجتمع (حركة الفاعلية الناهضة الدافعة والرافعة).

ضمن هذا التصور يمكن تفعيل المدخل المقاصدي في حفظ كيان المرأة وفاعليتها في الأسرة والدولة والأمة والحضارة، وأدوارها المحورية في حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال ضمن إطار يحفظ للأولويات مقامها.

وكذلك تفعيل المدخل السفني في دراسات المرأة والأسرة وحقيقة الوعي به والتمكين له بما يتيح عمران الأسرة والدولة والأمة.

الرابعة- هذه الملاحظات الثلاث السابقة غير مانعة بإبداء بعض عناصر نقدية لدراسة عمارة على قيمتها ضمن ما حددته من هدف، ذلك أنه غلب عليها الفكر الدفاعي من ناحية والبناء الذي يقوم على قاعدة منه، ومن ناحية أخرى فإن كثير من الدراسات ذات الطابع الإسلامي لا تزال تخضع للضغوط الحضارية، خاصة ضغط الواقع في ظل حالة عولمة وهو أمر حمل تعميمات لم تتول بالضبط الكافي، خاصة في تعميم الآراء والاتجاهات المختلفة، كما أن ذلك دفع إلى استخدام عبارات ذات طبيعة اسقاطية تصل إلى حد الإيهام.

وضمن هذه القراءة الفاعلة يبدو من الضروري أن نفرد نقطة خاصة لتحليل النص ووحدة التحليل، لأهمية هذا الاعتبار، خاصة في حال تسييس أمر هو بطبيعته منهجي فإذا به يتحول إلى حالة تبشيرية من المهم الوقوف على مكامنها ودوافعها ودواعيها.

تحليل النص ووحدة التحليل

أفرزت المعالجات لقضية المرأة وحدة تحليل صاعدة، تصاعدت بل وتعملقت، ضمن الدراسات والبحوث المختلفة، خاصة حينما جعلت النظرية المعرفية الغربية موضوع المرأة مدخلاً حيويًا لعملياتها التبشيرية التي تشن المزيد منها على العالم، في ظل عولمة هادفة إلى التنميط. أفرزت هذه الحالة العلمية (أفكار ونظريات ومعارف ومواثيق وبيانات ومؤتمرات، بل مناهج وأداوات تحليل، وأكثر من ذلك حركات اجتماعية تهدف إلى التمركز حول الأنثى. وغاية الأمر ضمن اهتمامنا هذا أن نتحدث عن مسار تحليل هذا النص ضمن قراءاته الخمس بوصفه اتخذ من "المرأة" وحدة تحليلية إما باعتبارها جنسًا، أو وحدة تحليل فكرية تشير إلى جملة التحديات الفكرية التي تفاقمت مع عمليات صناعة الصورة ضمن صناعة فكر عالمية وصناعة إعلام هدفت ضمن ما هدفت إلى التلاعب بالعقول والتدليس عليها.

وربما هذا الواقع الذي لعب دورًا في تسييس القضية بل وأدلجتها أسهم بدوره في تعقيد قضية المرأة ومناهج النظر والتعامل والتناول لهذه القضية سواء كان ذلك داخل عالم المسلمين أو خارجه.

وتطرق ذلك التسييس إلى عمليات هي بطبيعتها "منهاجية"، والمنهج كالمنطق آلة تعصم الذهن من الزلل والخلل في التفكير والتدبير. فإذا كان ذلك دور المنهج كآلية ضابطة للباحث مُرَشَّدة لسلوكه البحثي ومُرشِدة في آن، فإن تدليس باسم المنهج يصير أعلى درجات التحيز الذي يضر بالبحث والباحث بل بالجماعة بأسرها.

وحدة التحليل بين التقليد والتبديد والتجديد

وحدة التحليل رغم أنها عمل منهجي يعين الباحث على تحديد موضوعه وهدفه ومنهجه ومقصده الأساسي من بحثه إلا أنها في الآونة الأخيرة حينما اختلطت مجالات العلم والإعلام والسياسة وبدا هذا الإختلاط يتفاقم بحيث تراجع العلم على أن يشكل القاطرة

للمجالات الأخرى، وصارت مجالات مثل الجوقة الإعلامية، وغطرسة القوة في مجال السياسة هي القاطرة التي ألحقت العلم بها، ضمن عملية اختطاف للعلم والمعرفة إلى دائرة التسييس والأيدلوجيا، في زمن أعلن فيه زورًا، بل وتضليلاً وتعمية عن "موت الأيدلوجيا".

لا نستطيع أن نلحظ هذه الظاهرة المعرفية والتطبيقية في دقة أكثر ما نلحظه في مجال "المرأة" واتخاذها وحدة للتحليل.

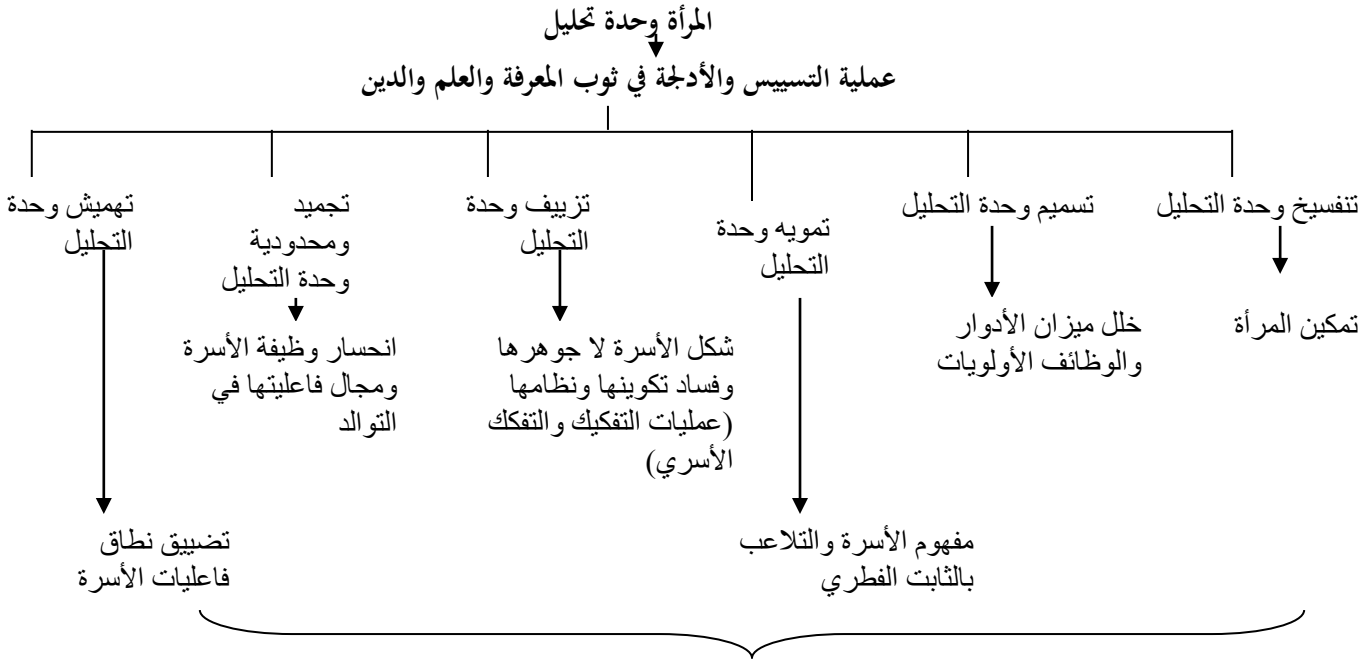

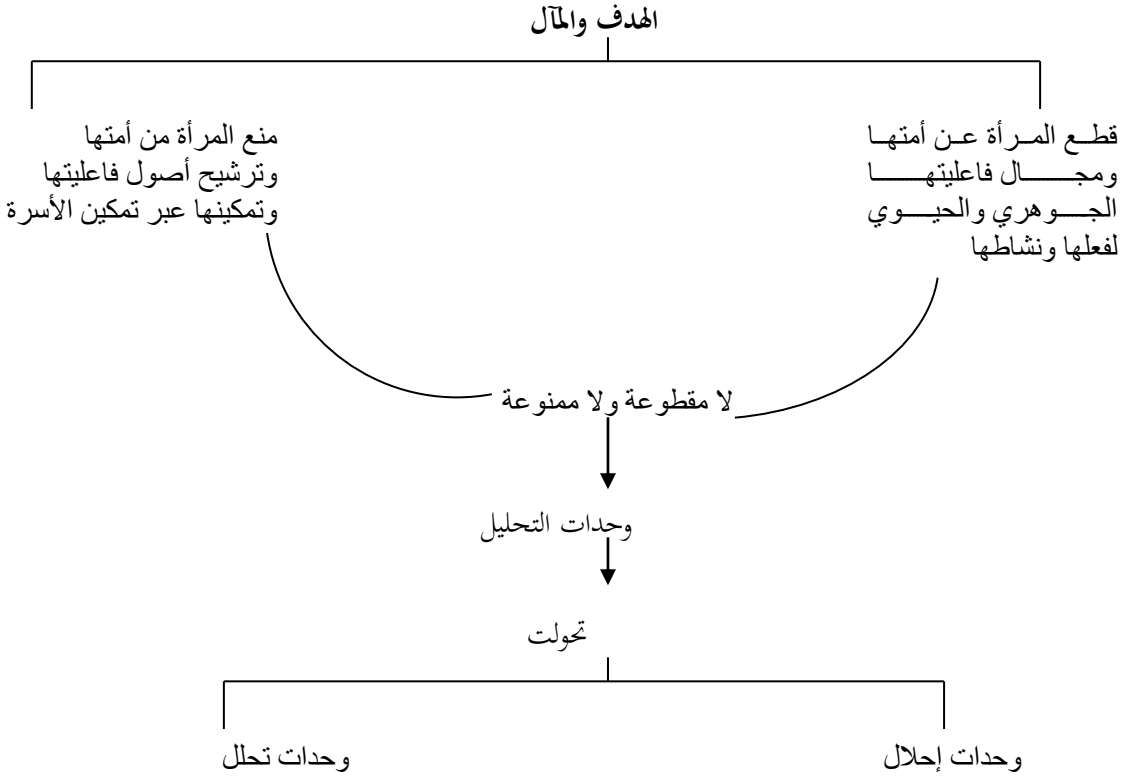

ضمن هذه الرؤية لابد إذن من التمييز قياسًا على ما أثبته الحكيم البشري حينما تحدث عن الإصلاح الضال، أو الإصلاح المخروق الذي تحدث عنه الرافعي بين وحدات التحليل الصالحة، ووحدات التحليل الضالة أو المخروقة التي تستند إلى رؤى جامدة أو وافدة. علينا أن نسهم في تشكيل التصور لوحدات تحليل تتسم بالفاعلية وتملك قابليتها للتفعيل. وحدة التحليل تشير مع إساءة استخدامها ضمن مسارات أرادت اقتلاع المرأة وتحريضها على أمتها وهويتها وأدوارها ووظيفتها، بل وأسرتها. هذا التراكم الصراعي الكامن في الخبرة الحضارية الغربية لا يزال يحتاج من علمائنا وباحثينا مزيد من التأمل والفحص والتبين.

ورغم أن تكريس وضع المرأة في أعلى مصادر المرجعية وجعلها وحدة تحليلية أصيلة عميقة وراسخة بفعل الخلق والدور والوظيفة، فإن القرآن الكريم قد أفرد سورة سُميت "النساء" وها هو القرآن يجعل من علاقة الزوجية إعمالاً لتلك السُّنة "ميثاق غليظ" شأنه شأن عقد التوحيد، وظلت السور القرآنية التي تعرضت لأوضاع المرأة وأحوالها تذكر بمعنى "الغلظة" في هذا الميثاق، ومعنى العروة الوثقى في هذا العقد، وظل يصور أوضاعًا تسيء في التعامل مع هذا الميثاق الغليظ لجنس المرأة أو لمقام حرماتها، ومجال حقوقها وواجباتها.

وأتى النبي (صلى الله عليه وسلم) مؤكدًا ومبينًا في بيان ختامي "خطبة حجة الوداع"، مبلغًا عن الله مشهدًا له سبحانه وتعالى على بلاغه وبيانه، وليؤكد معنى العموم في البلاغ والامتداد في الإبلاغ "فليبلغ الشاهد منكم الغائب"، وبدا في كلمات عميقة وكثيفة تملك قدرات رمزية تؤصل لمعنى البلاغ والإبلاغ للشعار والمشاعر والشعائر إنهما المكان والزمان اللذان يتمتعان بأعلى درجات الحرمة، والكلام الذي يصدر في هذا المقام يوافق معاني الميثاق الغليظ "استوصوا بالنساء خيرًا .." و"النساء شقائق الرجال" إن كل تلك تصورات لرسم جوهر وحدة تحليل بانية لا هادمة، عمرانية لا مدمرة، روح سارية، وأعصاب واصلة، ودم دافق يحفظ للأمة عافية الكيان وصحة البنيان ومقام الإيمان المفضي للأمان "إذا الإيمان ضاع فلا أمان"

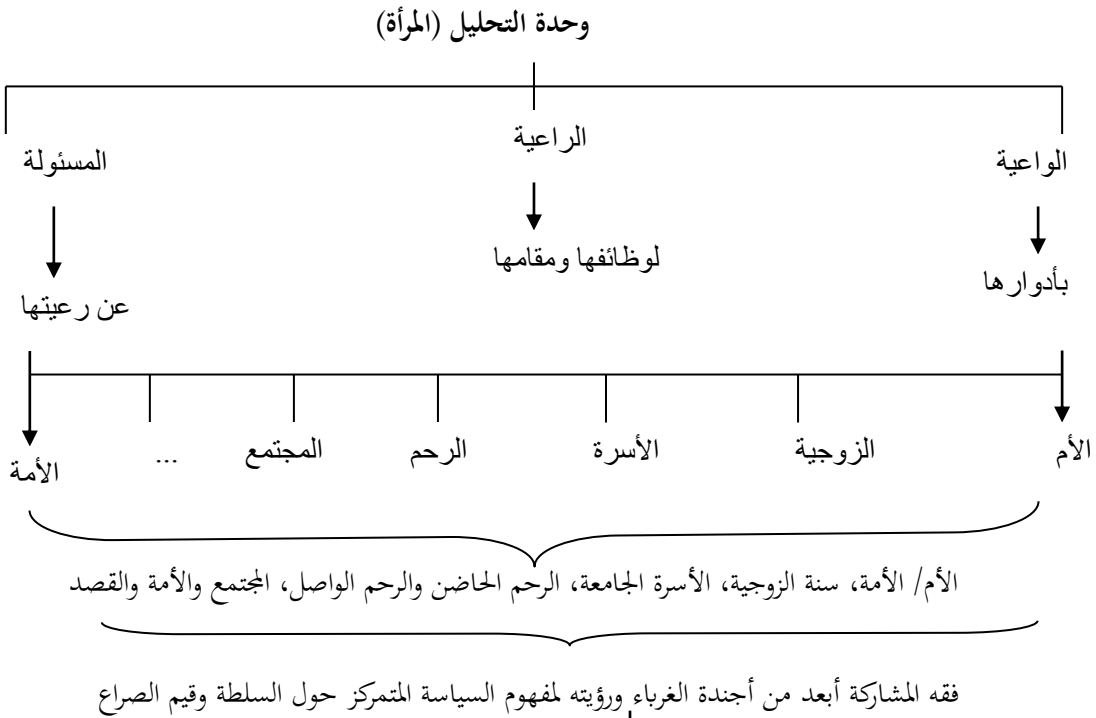

تصور لا يستنفد كل فاعليات مفهوم السياسة بمعنى المعاش وتدبيره والقيام على الأمر بوحداته ومستوياته بما يصلحه

الصلاح، الإصلاح، الصلاحية، المصلحة، الفاعلية، التجدد الذاتي، آليات المساءلة الذاتية

ارتباط ذلك بوحدة تحليل المرأة وتحديد الرؤية لها واعتبار الواقع العولمي المحيط بقضاياها

أفق النشاط القرائي للنص

القراءة في أفق النص: قراءة إجمالية

ماهي مرتكزات النص؟ العنوان الاستهلال الختام	الواجهة	التحرير الإسلامي للمرأة: رد شبهات الغلاة (انظر تحليل العنوان) براعة الاستهلال: القصة والمدخل حسن الختام: عبارة كثيفة تحمل الموقف من القضية التي تشكل مدار النص
ماذا يقول النص؟	الخريطة	خرائط النص وطبوغرافية —خرائط الحجاج- خرائط المفاهيم.. إلخ (انظر خرائط النص)
من يقول النص؟	المؤلف	د. محمد عمارة (السيرة الفكرية والنماذج الفكرية المتحولة)
كيف يقول النص؟	المنهاجية والأدوات	المنهاجية الحجاجية (الشبهة والرد) —المقارنة المنهاجية (الغلو الديني- الغلو اللاديني —النموذج الوسطي)
لمن يقول النص؟	المخاطب	تيار الغلو الديني، تيار الغلو العلماني، بناء التيار الوسطي، المرأة، الأمة
متى يقول النص؟	الزمان	يعد هذا الكتاب تتويجا لرؤى عمارة السابقة حول المرأة (النموذج الفكري المتحول وعالم الأفكار والمنهاج)
أين يقول النص؟	الفضاء والبيئة	الوسط المحيط بالنص (البيئة التراثية- البيئة الدينية- بيئة الفكر الغربي- بيئة السجال الفكري..)
لم يقول النص؟	الرسالة والوظيفة	انظر: تحليل النص كرسالة إتصالية (الرسالة ومحتواها- الهدف- جهود الخطاب..إلخ)
من أين يستقي النص؟	المصادر	(المصادر المرجعية التأسيسية: فقه القرآن- التطبيقات النبوية)- الاجتهادات الإسلامية الفقهية التراثية والمقاصد

لماذا أقيم النص	الأسباب الداعية	رد الشبهات –رد الغلو الديني واللاديني- تأصيل وتأسيس الاتجاه الوسطي
ماهي أهداف النص؟ غايات مقاصد	المقاصد	انظر: الهدف من النص في تحليل النص كرسالة اتصالية تحرير المرأة بالإسلام لا تحررها من الإسلام
ما الذي لم يقله النص؟	المسكوت عنه	لماذا لم يضمن نصه حول المرأة أي إشارة لقاسم أمين؟ ذاكرة النص وتحريك وتفاعل أفكاره
ما هي إمكانات قدرات النص؟	الوزن والمكانة	غلبة المنهاجية الدفاعية على المنهاجية البنائية- ضرورات تأصيل الرؤى الكلية من منظور حضاري تجزئة الإسلام مقدمة لنقده
ما هي جوانب فاعلية النص؟	القيمة والتأثير والتجديد	المساهمة في الساحة السجالية –القدرات التأثيرية والإقناعية البناء التجديدي وضرورات جَدَل وجَدْل النصوص
ما هي إسهامات النص في بناء تراكم الأجندة البحثية؟	الإشكالات	خطوة على طريق التأصيل الكلي –محاولات لسد مناطق الفراغ في الرؤية الدفاعلية الأجندة الحقيقية للمرأة –تمكين المرأة عبر تمكين الأسرة- المدخل السفني والمدخل المقاصدي

خاتمة حول
النصوص الحضارية بين المنظور الحضاري وأصول الفقه الحضاري والمنهاجية الدفاعية: جَدْل النصوص ونسجها، وجَدَل النصوص وتفاعلها

من الملاحظ أنه من أسلوب أغلب منتقدي "الإسلام" أو الرؤى المتولدة عنه، أنهم يسددون سهامهم إليه جزءًا جزءًا. فيأخذون هذا الجزء أو ذاك منفردًا وحده، ضمن أسلوب المعازل الفكرية، ثم يعمدون إلى نقده وتجريحه، خصوصًا حين يحاكمونه على أساس منظور آخر يقوم على منطق غير منطق الإسلام أو حين يتم تصور فعل ذلك الجزء ضمن كل آخر غير الكل الإسلامي وبهذا يستطيع أصحاب المستوى الأول أن يسجلوا نصرًا سهلاً، ويضعوا المدافع عن الإسلام في مواقف ضعيفة وهو يدافع عن ذلك الجزء، خصوصًا حين يجر إلى منافسته كجزء قائم بذاته معزولاً عن كله الإسلامي. بل إن هذا الوضع والمنزلق المنهجي يضع أصحاب الرؤية الإسلامية في موقف الدفاع الدائم أو مواقف التبرير المتهافتة أو مواقف الاعتذار المتخاذلة.

ومن هنا كان من الضروري –بحثيًا ومنهجيًا وواقعيًا– البحث فيه كالجملة الواحدة، والتعامل معه كوحدة متكاملة تتماسك أجزاؤها بعلاقة عضوية حية متفاعلة "كالبنيان يشد بعضه بعضًا .." إذ تساعد هذه النظرة الكلية التي تتناول مجموع الجوانب في آن وترى الجانب الواحد ضمن علاقته بالكل واستطراقها في التأثير والتأثر، .. وامتلاك معيار في التعامل مع الإجزاء، ومن ثم امتلاك معيار في عدم السماح بالهجوم على الإسلام من خلال عزل أي جزءٍ من أجزائه أو من خلال إبراز أجزاء وتجاهل أجزاء أخرى .. قضية المرأة واحدة من أهم النماذج في هذا المقام، ومناقشة هذه القضية مجزأة غير ممكنة إلا من ضمن الرؤية الإسلامية ككل، وما من جزء من أجزاء الإسلام يمكن مناقشته معزولاً عن الكل، وهكذا يلاحظ أن أخذ بعض الإسلام وترك البعض والتخلى عن روحه ونهجه هو الطريق إلى شن الهجمات عليه، أو إلقاء الشبهات حوله، أو الإنحراف عن جادته، والأخذ به كلاً يقيم وحدة بين كل أجزائه تقوم على إعطاء كل ذي حق حقه، فلا يبالغ بحق هذا ولا يبخس بحق ذاك وهو أمر يحتاج لفهم دقيق وعميق، إنها منظومة العدل بكل متطلباتها من وضع النسب على حقيقتها وإحداث التوازن من دون طغيان أو إخسار.

تناول الجزء من خلال الكل يتطلب استحداث وتأسيس آليات وأساليب وطرائق تبلغ المقصود وتنجز الغايات "المنظور الحضاري" و"أصول الفقه الحضاري" أدوات مهمة تتجاوز منهاجية الدفاع إلى عملية التأصيل الكلية في منظومة وشبكة، تهدف ضمن ما تهدف تفعيل آلية مهمة يعكف الباحث على تصور آلياتها وتوظيف فاعلياتها وهي "جَدْل النصوص ونسجها، وجَدَل النصوص وتفاعلها، عمليات بعضها من بعض يجب تسكينها ضمن مشروع بحثي ممتد ومتكامل يتحرك صوب تأليف نص حضاري فوق النصوص يتلافى كل أوجه القصور أو معظمها في النصوص الحضارية الجزئية.

إنها قضايا يجب أن تُسكَّن ضمن جدول أعمال ينبع من أصول الدواعي والاحتياجات النابعة لا التابعة.